الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة

وزارة التعليـم العالـــي والبحث العلمـــي

جامعـة محمـد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع:

الحب عند القديس أوغسطين

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

من إعداد:

-فاطمة الزهراء بوهدي

-فيروز بابش

إشراف الأستاذة:

– نسيبة مزواد

السنة الجامعية: (2018/2017)

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر وتقدير

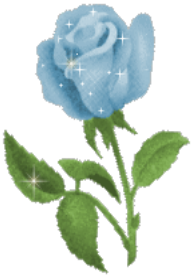

الحمد لله رب العالمين الذي خلق اللوح والقلم والذي خلق الخلق من عدم والذي دبر الأرزاق والآجال بالمقاديير..

الحمد لله حمد الشاكرين والحمد لله في كل وقت وحين

الحمد لله حمداً على كل النعم.. والحمد لله على حمد النعم

والحمد لله يليق بربب النعم.. فالحمد لله الذي علمنا والذي إلى هذا أوصلنا.

نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة نسيبة مزواد على توجيهها ودعمها لنا في إنجازنا لهذا البحث..كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم الفلسفة وإلى كل من ساند في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد..دون أن ننسى أساتذتنا السابقين الذين سهروا على تعليمنا والذين يعود إليهم فضل ما وصلنا إليه.

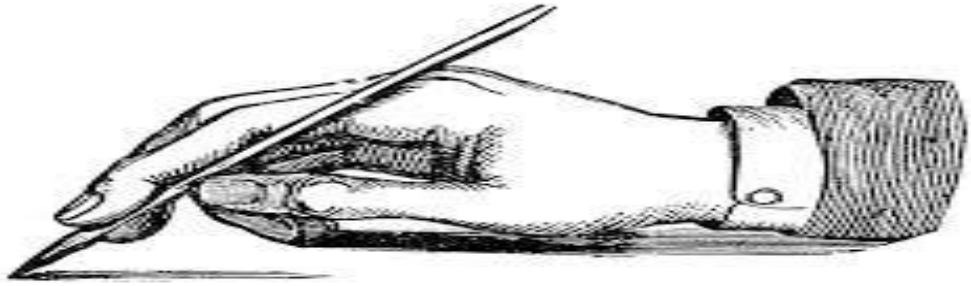

مقدمة

مقدمـــــة

يعيش إنسان اليوم في أزمة متداخلة الأسباب والعلل والمظاهر، جراء التطور العلمي والتكنولوجي الحاصل، والتغيرات الاجتماعية الملحوظة، وعلى الرغم من كل الرفاه المادي والثراء المعرفي خاصة في العالم المتقدم، إلا أنها لم تحقق شيئا سوى أنها سلبت من الإنسان إنسانيته، وجعلته يلهث وراء المغريات والماديات بشكل أكبر وبجهد أقل، لتظهر بوادر عودة الوحشية من جديد بوجه آخر متخفية تحت قناع التطور العلمي والتكنولوجي، لقد تخلى الإنسان عن إنسانيته بإرادته، فقيدته الشهوات والرذائل والشرور، لتفتح بابا للاستبداد والطغيان، فتنتشر الحروب والنزاعات ويسود الظلم والجور فيصبح فريسة لنفسه يتربص بها قبل أي أحد، إنها ثورة يشنها الإنسان على نفسه وعلى بني جنسه، ليقع أسيرا وعبدا لأنانيته المفرطة التي تنذر بنهايته.

لقد ضاع إنسان اليوم وفقد استقلاليته، فأصبح خاضع لمؤثرات خارجية لا تمد لإنسانيته بأي صلة، إننا نحيا في عالم مؤلم ومشوه، إنه يئن ويعلم أنه غارق لا محال، فأمراض الروح فتكت به وشوهته، وهو المتسبب بها نتيجة الحياة النجسة التي تمرغ فيها، ولا سبيل لشفائه إلا بضرورة إحياء الحب فيه والعودة إليه، إذ أن غيابه في الممارسات اليومية بين الأفراد أدى بالضرورة إلى المشاحنة والعداوة والحسد، فأصبحت العلاقات محكومة بمنطق الغاب؛ حيث القوي يأكل الضعيف دون رحمة أو شفقة، فالحب لا يخضع لتغيرات الزمن، ولا يرتبط بأي شهوة فاسدة من شأنها إلحاق الأذى به وقيادته إلى الفناء.

ويعتبر الحب انعكاس لحركة الكون ورابط مقدس يعد إحدى قوى الكون العجيبة، إنه يرتبط بالذات الإنسانية وما تشمله من علاقات، فتغير فيها وترفعها إلى السمو والنقاء، فالحب دين بلا شريعة، إنه نزوع فطري وإدراك للماهية الخيرية للإنسان، التي يرتقي بها من حدود التناهي إلى فضاء اللاتناهي، محققة بذلك أنبل الفضائل وأسماها، لذا كـان من

الضروري الاهتمـــام بموضوع مشكلة الحب والعودة إليها، والتي تعتبر الحاضر الغائب في وقتنا الراهن، فالعلم الذي وعد الإنسان بأن يوفر له السعادة والراحة وادعى استثمار جميع الطاقات الكونية الكامنة والظاهرة، انقلبت كل الموازين إلى تعاسة وألم وقلق، فتقلصت مساحة الشعور بالأمان والإستقرار، وأصبحت الحاجة ماسة لتنمية حياة الإنسان من الناحية الروحية، ومن هنا كان علينا البحث في أهم الدراسات التي عنيت بضرورة الحب والحاجة إليه، وتعتبر دراسة القديس أوغسطين ومعالجته لمشكلة الحب إحدى بوادر الدراسات الهادفة، التي عنيت بالبحث والمناقشة في مسألة الحب، وعليه نطرح الإشكالية التالية:

هل تفلسف القديس أوغسطين في الحب ؟.

وعن هذه الإشكالية العامة تتفرع مجموعة من التساؤلات وهي:

-ما هو الحب ؟ وما هي أبعاده في الدين المسيحي ؟.

-ما هي الآلية التي بها ينتقل الإنسان من ظلمة الخطيئة إلى نور المحبة في نظر القديس أوغسطين ؟ وهل الطريقة التي اتبعها في ذلك هي تحصيل حاصل لما جاء في الكتاب المقدس ؟.

-وما هي تجليات الحب عند القديس أوغسطين ؟.

ومن أهم الدوافع الموضوعية التي دعتنا لدراسة هذا البحث أهمية الموضوع والحاجة إليه في زمن يشوبه جفاء وظلام دامس للقلوب وتشيؤ الإنسان، إضافة إلى عمق أفكار أوغسطين ودقتها، وطريقته المبدعة التي أثرى بها الحقل الفلسفي واللاهوتي في موضوع الحب.

أما عن الدوافع الذاتية فهي:

-ندرة الدراسات الفلسفية في موضوع الحب.

-الرغبة في التعرف عن أفكار هذا الفيلسوف بشكل أوسع.

-تقاطع الموضوع والميولات الشخصية.

وكان هدفنا من هذه الدراسة هو التعريف بشخصة فذة عرفها التاريخ، حيث ذكرهـا و تغنى بها لعهود طويلة، إنها شخصية القديس أوغسطين الذي ترك الباحثين في حيرة من بعده، حيث اختلفوا في تصنيفه إذا ما كان فيلسوف أم لاهوتي، أم هو الإثنين معا، كما رمينا من خلال بحثنا هذا إلى التوغل أكثر في فكرة الحب عنده، ومعرفة أهمية هذا الأخير في أفكاره، وأردنا أيضا في بحثنا هذا معرفة إذا ما كان القديس أوغسطين قد التزم في الحب بتعاليم الكتاب المقدس أم أنه جاء بالجديد في ذلك.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة كان علينا تقسيم الموضوع إلى مقدمة وثلاث فصول ثم خاتمة، احتوت مضامينهم على ما يلي:

مقدمة: عرفنا فيها بالموضوع بحيث يتسع لنا المجال للدخول إلى مضمون البحث، وضبطنا فيها إشكالية تخص موضوع بحثنا، والتي على ضوئها تطرقنا لأهم دوافع اختيار الموضوع، وتعرضنا لعناصر الخطة، والمنهج المتبع في الدراسة، وكذا بعض الصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذا البحث.

أما الفصل الأول كان بمثابة فصل تمهيدي عرجنا في بدايته على مفهوم الحب وأنواعه، ثم بحثنا في تاريخيته وقدمنا ثلاثة نماذج هي: الحضارة المصرية والحضارة البابلية والحضارة اليونانية، لنختم هذا الفصل بمبحث ثالث وأخير ضبطنا فيه مفهوم المحبة في المسيحية، وتطرقنا إلى تعاليم المسيح في المحبة، والتي اشملت على وصيتين.

أما الفصل الثاني فعالجنا فيه كيفية الانتقال من ظلمة الخطيئة إلى نور المحبة عند القديس أوغسطين، فعرفنا أولا بالقديس أوغسطين ورصدنا أهم المحطات الفكرية التي مر

بها، لننتقل بعد ذلك بالشرح والتحليل لمسألة الخطيئة الأصلية وانعكاساتها عند أوغسطين، لننهي هذا الفصل بالبحث في ماهية المحبة وأشكالها ثم أهميتها عند أوغسطين.

أما الفصل الثالث فكان تحت عنوان تجليات الحب عند أوغسطين في كل من السياسة والأخلاق والتاريخ، حيث خصصنا مبحث لكل جانب فلسفي محاولين استخلاص تجلي الحب في كل واحد منهم، سواء في السياسة أو الأخلاق أو التاريخ.

وختمنا البحث بخاتمة، قدمنا فيها حوصلة لنتائج البحث التي توصلنا إليها محاولين الإجابة على الإشكالية.

ومن أجل التحكم في الموضوع والسيطرة على عناصره وأفكاره، كان لزاما علينا أن نتبع منهجا يضمن الوصول إلى فكرة سليمة وواضحة ودقيقة عن الموضوع والإشكالية المطروحة، ولنثري هذا البحث أكثر اعتمدنا على المنهج التحليلي نظرا لطبيعة الموضوع في تبسيط الأفكار والنصوص الأصلية للقديس أوغسطين.

وقد استعنا في انجازنا لهذا البحث بمجموعة مصادر ومراجع، كان أبرزها كتاب مدينة الله بمجلداته الثلاثة للقديس أوغسطين، وكذا كتابه خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، وأيضا كتاب عظات على رسالة يوحنا الأولى، أما بالنسبة للمراجع فأهمها هو كتاب زيغور علي أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسطى، مع كتاب زينب محمود الخضيري لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين.

وكأي بحث علمي، فقد واجهتنا بعض الصعوبات والعقبات في انجازنا لهذا البحث، أبرزها صعوبة التحكم في الموضوع نظرا لتشعب أفكار القديس أوغسطين في الحب، واتساعها بين الفلسفية من جهة واللاهوتية من جهة أخرى.

الفصل الأول

الفصل الأول: ماهية الحب ومنزلته في المعتقد المسيحي

تمهيد

المبحث الأول: الحب وأنواعه

أولا: تعريف الحب

ثانيا: أنواع الحب

المبحث الثاني: الحب في الحضارات القديمة

أولا: الحب في الحضارة المصرية (إيزيس وأوزوريس نموذجا)

ثانيا: الحب في الحضارة البابلية (ملحمة جلجامش نموذجا)

ثالثا: الحب في الحضارة اليونانية (الإلياذة نموذجا)

المبحث الثالث: المحبة في المعتقد المسيحي

أولا: تعريف المحبة في المسيحية

ثانيا: أنواع المحبة في الدين المسيحي

ثالثا: تعاليم المسيح في المحبة

خلاصة

تمهيد:

يعتبر الحب القلب النابض للبشرية ، ومهندس أفعالها السامية، به تتجدد إنسانية الإنسان ليعيش في ود ووئام مع من يماثلونه ، ونجد أن الحب قديم قدم الإنسان ، فقد كان بمثابة الحامي له من المخاوف والشرور، التي قد تلحق به الأذى والتي قد تهدد طابعه الإنساني، ولقد أعتبر الحب رباط مقدس، حيث قدسته جميع الديانات، ووصفته على أنه فضيلة أخلاقية سامية، ولعل هذا ما جاءت به المسيحية في كل تعاليمها ووصايا رسلها، حيث قامت أساسا على المحبة معتبرة إياها أسمى الفضائل..

من هنا رأينا أن هذا الفصل هو بمثابة المحطة الأولى التي نقف فيها على الحب بصفة عامة، ثم المحبة المسيحية بصفة خاصة، على هذا قسمنا معلومات هذا الفصل إلى ثلاث مباحث، الأول بعنوان الحب وأنواعه، قدمنا فيه تعريفات للحب عند بعض علماء النفس وبعض الفلاسفة، وتطرقنا إلى أنواع الحب عند كل من ستندال واريك فروم، أما المبحث الثاني فقد استعرضنا فيه بعض المحطات التاريخية للحب، والمبحث الثالث والأخير جاء بعنوان المحبة في المعتقد المسيحي، والذي اندرج ضمنه تعريف للمحبة المسيحية وأنواعها، وكذا تعاليم المسيح في المحبة.

من هنا نطرح السؤال التالي:

ما هو الحب ؟ وما هي تعاليم المسيح في المحبة ؟.

المبحث الأول: الحب وأنواعه

الحب حالة شعورية فريدة من نوعها، وثيقة الصلة بالكائن الحي عموما وبالإنسان خصوصا، والحب هو من أكثر المفردات تداولا في الحقول الأدبية والفنية، وعند علماء النفس والفلاسفة، على هذا نستعرض مجموعة من التعريفات التي قدمها هؤلاء للحب.

أولا: تعريف الحب:

لقد تعددت تعريفات الحب بين اللغوي والاصطلاحي، والتعدد هذا ناتج عن الدراسات المختلفة التي حظي بها الحب في القديم وفي الحاضر.

أ) الحب لغة :

عُرِّف الحب في معجم لسان العرب لابن منظور على أنه "نقيض البغض، وهو المحبة والوداد وكذلك الحب بكسر الحاء. وأحبه فهو محب وهو محبوب، والمحبة أيضا اسم للحب والحباب بكسر الحاء بمعنى المحابة والموادة، والتحبب هو إظهار الحب، والحب بمعنى المحبوب"[1].

والحب هو "الوداد والمحبة والميل إلى الشيء السار، وهو كذلك الرغبة في شيء حسن بصفته حسن والبغض رغبة سلبية ونفور من الشر بصفته شرا"[2].

والمحبة مشتقة من الحب وكأنها اسم علم لأقسام المحبة وهي:

الهوى : مشتق من السقوط ومعناه ميل القلب وسرعة تقلبه لأجل المحبة كما يسرع الهواء التغير لشدة صفائه ولطافته (...).

الهيام: هو أن يذهب على وجهه لغلبة الحب عليه (...).

أما الود فهو: خالص الحب وأرقه وألطفه، وهو من المحبة بمنزلة الرأفة من الرحمة"[3].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة الحب، د ط، دار المعارف، القاهرة، دس، ص ص 742-743.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء 1، د ط، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، ص ص439-440.

[3] عمر رضا كحالة: الحب، ط1، مؤسسة الرسالة، سورية، 1987، ص107-108.

و لقد عرفه الفيروزآبادي أيضا بقوله: "الحب من الوداد كالحباب والحب بكسرهما، والمحبة والحباب بالضم أحبه وهو محبوب على غير قياس، وجمع الحب أحباب وحبان وحبوب، وحب بفلان أي ما أحبه، وحببت إليه صرت له حبيبا، وتحابوا أي أحب بعضهم بعضا وتحبب أي أظهر حبه"[1].

ب) الحب اصطلاحا:

الحب مفهوم متشعب تعددت مفاهيمه وكثرت تعارفه، فقد عرفه جميل صليبا في معجمه الفلسفي قائلا: "الحب نقيض البغض، وهو الوداد، والمحبة، والميل إلى الشيء السار، والغرض منه إرضاء الحاجات المادية أو الروحية، وهو مترتب عن تخيل كمال في الشيء السار أو النافع يفضي إلى انجذاب الإرادة إليه، كمحبة العاشق لمعشوقه، والوالد لولده، والصديق لصديقه، والمواطن لوطنه، والعامل لمهنته"[2].

ويتضح من هذا أن الحب يناقض الكره والبغض، وهو بمعنى المودة والرحمة، التي تجمع بين حبيبين، حيث أن المحب ينظر إلى حبيبه من وجهة ما هو جميل فيه، رائدا بذلك إرضاء حاجاته ورغباته المادية والمعنوية ، أو بعبارة أخرى الحب هو القطب المضاد للكراهية، وهو يشمل كل المعاني التي توحي إلى السرور والنفع لإرضاء الحاجات المادية والروحية.

كما عرّفه مراد وهبة في معجمه الفلسفي على أنه "عاطفة تجذب شخص نحو شخص من جنس آخر فمصدرها الأول هو الميل النفسي وأما المعنى العام فهو عاطفة يؤدي تنشيطها إلى نوع من اللذة مادية كانت أو معنوية"[3]، أي أن الحب انجذاب نحو شخص آخر يبدأ بالميل النفسي، أي الانجذاب نفسيا للطرف الآخر، كالشعور معه بالراحة النفسية

---

[1] مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج1، ط 8، مؤسسة الرسالة، د م، 2005، ص50.

[2] جميل صليبا، مرجع سابق، ص ص439-440.

[3] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، د ط، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص264.

مثلا وما شابه ذلك، وينتهي ذلك الشعور بتحقيق لذة يعيشها ويستشعرها المحب، سواء كان ذلك ماديا أو معنويا.

كما عرّفه لالاند على أنه "إسم مشترك بين كل الميول التجاذبية، خصوصا عندما يكون موضوعها الحصري يتعلق بتلبية الحاجات المادية وإشباعها. كما يطلق على النزوع الجنسي بكل أشكاله ودرجاته عندما تستعمل الكلمة بمفردها. إنها تكون بهذا المعنى إجمالا وهو نزعة معاكسة جوهريا للأنانية، وإما يكون موضوعها فكري، تجري مواجهتها نس بلي شيئا من إنكار الذات إنكار المصلحة وحتى إنكار الفردية، لتكون حينئذ حب الله مجتمعة وهي ما تكمن في فضيلة المحبة التي ارتدت طابع ديني يميزها على شكل للإحسان المحض أو البر الخالص وتكمن في حب الله ذاته وحب القريب حبا بالله"[1].

بمعنى أن الحب هو إجماع لكل العواطف الإنسانية الهادفة إلى تحقيق وإشباع رغبة مادية كانت أو معنوية، سواء مع النفس التي يصل بها الإنسان حد الأنانية أو امتهانها والارتقاء بها إلى المحبة الإلهية.

وعموما الحب هو "عاطفة إنسانية تتمركز حول شخص أو شيء أو كائن أو فكرة وتسمى هذه العاطفة باسم مركزها، فهي تارة عاطفة حب الوطن حين تتمركز حول الوطن، وتارة أخرى عاطفة الأمومة حين تتمركز عاطفة الأم حول طفلها"[2]، أي بمعنى أن الحب هو مجموعة من المشاعر والأحاسيس التي يكنها شخص لشخص أو لشيء آخر، أي حسب نوعية العلاقة التي تربط الحبيب بمحبوبه، كحب الوالدين للأبناء أو العكس، أو حب المواطن لوطنه، أو حب شخص لفكرة معينة وتعلقه بها.

---

[1] أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية، تر: أحمد خليل أحمد، م 1، ط2، منشورات عويدات، بيروت، د س، ص ص 168-169.

[2] مسيرة طاهر: التربية بالحب، د ط، مكتبة الكاتب العربي، د م، د س، ص 3.

ولقد لقي الحب اهتماما من قبل علماء النفس وكذلك الفلاسفة قديما وحديثا، فقد عرفه الطبيب النفسي النمساوي سيغموند فرويد على أن الحب هو "ظاهرة جنسية خالصة"[1]، وتعريفه هذا لا يمكن فهمه إلا بالعودة إلى التصنيف الذي قدمه فرويد للغرائز، حيث رأى أن الغرائز يمكن أن نصنفها تبعا لفئتين عامتين وهما "غرائز الحياة وغرائز الموت، فأطلق مصطلح إيروس وهو اله الحب لدى الإغريق على غرائز الحياة التي أصبحت تعني لديه دوافع المحافظة على الذات والتكاثر وتخدم غرائز الحياة، بغرض المحافظة على حياة الفرد وتكاثره الجنسي، ويندرج تحتها الجوع والعطش والجنس، ويطلق على صورة الطاقة التي تستخدمها في أداء عملها إسم الليبيدو"[2].

أما غرائز الموت "فقد أطلق عليها مصطلح ثاناتوس وهو اله الموت لدى الإغريق وغريزة الموت تحركها دوافع التدمير وتتناقض مع غريزة الحياة أو الإيروس، وهي تظهر كإجبار للتكرار، بأن يجد الفرد نفسه مجبرا على السعي إلى الموت بأن يكرر عجلة الحياة العادية، وسماها فرويد أحيانا غرائز التدمير وعزا إليها أسباب النزاعات والحروب بين البشر"[3].

وما يتضح من هذا التعريف الذي قدمه سيغموند فرويد للحب هو أنه ربط بينه وبين الجنس، حيث اعتبر الحب مسكن لتلك الانفعالات والاضطرابات الجنسية، فالحب عنده مرتبط أساسا بالحياة الإيروسية أي الليبيدو، على هذا كان الحب في نظر سيغموند فرويد ما هو إلا لفظ شاع في أوساط البشر منذ القدم، حيث لا يوجد شيء اسمه حب وإنما هناك ما يعرف بالجنس، والحب ماهو إلا بداية أولية تمهيدية يراد بها الجنس، فكان بهذا وسيلة هدفها

---

[1] فارس كمال نظمي: الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، ط1، دار ئاراس، كورديستان، العراق، 2007، ص87.

[2] المرجع نفسه، ص86.

[3] المرجع نفسه، ص86.

تحقيق رغبات جنسية لا أكثر، وتعريفه للحب على هذا النحو كان نتيجة الرؤية التي قدمها للإنسان، إذ رأى أنه كائن بيولوجي قبل كل شيء.

وعرفت عالمة النفس الألمانية كارين هورني الحب على انه "القدرة على أن تعطي من نفسك تلقائيا للن ـاس أو لحالة أو لفكرة بدلا من الحص ـول على كل شيء لنفسك بطريقـة أنانية"[1].

ونفهم من هذا أن الحب إنما هو تقديم وعطاء، أي تضحية في سبيل المحبوب، والتضحية تناقض الأنانية، حيث تعني هذه الأخيرة المبالغة في حب النفس والرغبة في السيطرة والتملك، والحب في نظر كارين هورني يشترط العطاء وينبذ الأنانية، وإذا ما تحقق ذلك فإننا نصل إلى ما يسمى بالحب الحقيقي، والذي يعتبر أسمى مشاعر الإنسان.

كما عرفه الطبيب النفسي الأمريكي هرلي هارلو على انه "مشاعر عاطفية نحو الآخرين"[2]، أي بمعنى أن الحب هو أحاسيس وجدانية يحملها الإنسان للآخر، فقد تكون مشاعر الأم نحو طفلها، أو مشاعر الطفل نحو أمه، أو مشاعر الأب نحو ولده، أو العكس، أو مشاعر الأخوة، أو مشاعر الإنسان نحو البشر.....الخ.

ولقد أُختلف منذ القدم في تعريف الحب، فرأى طائفة من الحكماء القدامى ونخص بالذكر زرادشت "أن الوجود كله مبدأه المحبة والبغضاء وهما علة الكون والفساد، فالبغضاء تقابل المحبة كالنور الذي يقابل الظلمة وهما صفة من صفات الوجود"[3].

---

[1] كمال نظمي، مرجع سابق، ص107.

[2] المرجع نفسه، ص20.

[3] رضا كحالة، مرجع سابق، ص ص8-9.

بمعنى أن الكون محكوم بثنائية الخير والشر، الحق والباطل، الحب والبغضاء، فهذه الثنائية سبب وعلة وجود الكون، كما هي سبب الفساد والتناهي، فمن طبع قلبه بالمحبة كان كالنور يشع، ومن تحكمت فيه البغضاء غرق في الظلمة.

ومن الفلاسفة عرفه الفيلسوف اليوناني سقراط بقوله "المحبة أفضل رياضات النفس، وفيها جلاء العقول وصقل الأذهان" [1]، بمعنى أن حاجة الإنسان إلى الحب ووجوده قياسا كحاجته لترييض جسمه ، وصقل ملكاته وقدراته العقلية، وبالتالي فالحب عند سقراط نزوع عقلي للأشياء.

كما عرفه أفلاطون فقال: "إن الحب هو عامل خلق وإبداع وهو عامل تربية وتهذيب والتربية ليست شيئا آخر غير الحضور المستمر للحب" [2]، ومعناه أن الحب في نظره يكتسب من خلال التربية التي يتلقاها الفرد، والتي تساهم في تهذيب النفس بفضائل أخلاقية ، ورؤى جمالية عبر مراحل عمرية متفاوتة، ومن خلال طرق صحيحة يستطيع بها الإنسان أن يصل إلى مستوى النضج الروحي، وذلك عن طريق الانتقال من حب الموضوع الجمالي الموجود في عالم الحس، ليتسامى من خلال الجدل الصاعد إلى حب الجمال ذاته في عالم الحقائق الكلية.

وأيضا عرفه سبينوزا بقوله "الحب هو الفرح المقترن بمعرفة سببه، والبغض هو الحزن بمعرفة سببه، والحب مختلط بنتائجه الممكنة" [3]، بمعنى أن الحب عنده هو من يقودنا إلى الشعور بالفرح والسرور إن أحببنا ذلك الشخص أو الشيء، فشرط وجود الحب هو الفرح ، وغيابه يعني الحزن الذي يتولد من الكره، كما أن الحب عنده حالة غير ثابتة أي أن نتائجه ليست قانونا يؤخذ به، فقد يحب الفرد شخصا لكن لا يكون سعيدا معه.

---

[1] نقلا عن: رضا كحالة، مرجع سابق، ص9.

[2] نقلا عن: بيير بورني: فلسفة الحب، ترجمة علي وطفة، ط1، دار طلاس، دمشق، 1996، ص8.

[3] نقلا عن: خوسهاورتغا أي غاست: دراسات في الحب، تر: علي إبراهيم أشقر، دط، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د س، ص11.

ثانيا: أنواع الحـــب:

الحب ليس محصور في جانب واحد ، فهو متعدد ومتنوع، وهذا ما اختلف فيه الكثير من العلماء والفلاسفة، حيث قدم لنا كل واحد فيهم تصنيف للحب يتوافق مع رؤيته، وهذا ما نجده مثلا عند ستندال الفرنسي الذي قسم الحب إلى أربعة أنواع، وهي كالتالي:

1- "الحب الهيامي الذي تتصرف فيه كل قوى الحبيب نحو حبيبته.

2- الحب التفاخري الذي يتظاهر فيه الرجل بحب المرأة ويفتخر بعلاقته بها.

3- الحب الهوائي بلا قيد ولا حساب.

4- الحب الشهواني الذي يجعل صاحبه بمنزلة سائر الحيوانات"[1].

أما إريك فروم فقد أشار إلى أن هناك خمسة أنواع للحب وهي كما يلي:

1 -**الحب الأخوي:** في هذا يقول اريك فروم: "أقصد بهذا الشعور بالمسؤولية والرعاية والاحترام والمعرفة إزاء أي كائن إنساني آخر، والرغبة في تطوير حياته" [2]، أي أن الإنسان يحس بأنه مسؤول عن غيره ممن يماثلونه، ويشعر نحوهم بالحب ويعمل دائما على تطوير حياتهم، والحب الأخوي في نظر إريك فروم هو حب لكل البشر أي بدون استثناء، وهو حب قائم على التعاون والتضامن والتكافل بين الإنسان وبني جنسه.

2 -**الحب الأمومي:** حيث يقول اريك فروم: "الحب الأمومي هو تأكيد مطلق لحياة الطفل واحتياجاته"[3]، الحب الأمومي على حد قوله حب مطلق، ففي نظره الأم تحب الطفل حديث الولادة لا لشيئ فقط لأنه طفلها، خاصة وهي تدرك أن طفلها جزءا منها، كما أنها تدرك أن طفلها عاجز وخاضع لإرادتها، إدراكها لهذا يجعلها تحب طفلها فقط لأنه يحتاجها، أي يحتاج اهتمامها ورعايتها.

---

[1] عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ص44.

[2] اريك فروم: فن الحب بحث في طبيعة الحب وأشكاله، تو: مجاهد عبد المنعم مجاهد، د ط، دار العودة، بيروت، 2000، ص47.

[3] المرجع نفسه، ص49.

3 -**الحب الشبقي أو الجنسي:** يقول إريك فروم عن الحب الجنسي أنه "سعـي إلى الاندماج الكامـل، للاتحـاد مع شخص آخر، وهو بطبيعته قاصـر علـى شخص وليس مطلقا"[1]، أي أن الحب الجنسي يقتصر على شخص واحد بخلاف الحب الأخوي والأمومي، لذا نجد أن الحب الأخوي والأمومي يتصفان بالمطلقية عكس الحب الجنسي، وهذا النوع من الحب ناتج عن نقص في الإنسان، لذا فهو بحاجة للجنس الآخر لكي يكمله ويتحد معه.

4 -**حب الذات:** يقول اريك فروم: "إذا كان من الفضائل أن أحب جاري كإنسان، فيجب أن يكون من الفضائل لا الرذائل أن أحب نفسي نظرا لأنني إنسان أيضا" [2]، ومعنى هذا أن حب الذات يعني أن يكون حبي لنفسي مماثلا لحب غيري، فإذا كان بوسعي أن أحب الآخرين بطريقة صحيحة فإنه من الفضائل لا من الرذائل أن أحب نفسي.

5 -**حب الله:** يقول اريك فروم: "لقد ذكرنا من قبل أن أساس حاجتنا إلى الحب يكمن في تجربة الانفصال والحاجة المترتبة إلى قهر الانفصال بتجربة الوحدة أو الاتحاد. الشكل الديني للحب، الذي يسمى حب الله، هو حب غير مختلف إذا ما تحدثنا من الن ـاحية السيكولوجية. إنه حب ينشأ من الحـاجة إلـى قهر الانفصـال وتحقيـق الوحدة"[3]، ويعني إريك فروم بتحقيق الوحدة الاتحاد مع الله، ويكون ذلك بالتعلق المفرط بالله ومعايشة حبه بتطبيقه لأوامره، فيصل بهذا الى درجة الاتحاد معه.

---

[1] اريك فروم، مرجع سابق، ص52.

[2] المرجع نفسه، ص52.

[3] المرجع نفسه، ص59-60.

المبحث الثاني: الحب في الحضارات القديمة

إن الحب ليس بالشيء الجديد، فقد كان متأصل لدى الإنسان القديم، حيث اهتم القدماء بالكتابة في هذا المجال، وهذا ما وصل إلينا في شكل أساطير.

هذا ما سنتطرق إليه من خلال عرضنا لهذا المبحث، حيث سنورد أسطورة حب في كل من الحضارة المصرية بعرض قصة ايزيس وأوزوريس، وفي الحضارة البابلية نروي قصة جلجامش، وفي الحضارة اليونانية نستعرض قصة الإلياذة، لنعرف طبيعة الحب في كل من هذه الحضارات.

أولا: الحب في الحضارة المصرية (أسطورة ايزيس وأوزوريس):

جاء في أسطورة ايزيس وأوزوريس أن "أوزير أحد أهم الآلهة في مصر، وكما تقول قصة الخلق في عين شمس، كان أوزير ابناً للإلهين نوت (السماء) وجب (الأرض)، وقد كان هو ووالده من الآلهة التسعة الذين كوّنوا تاسع عين شمس، في البداية كان أوزير إله الخصب والنماء المسؤول عن الإنبات والأراضي الخصبة في دلتا نهر النيل، إلا انه أصبح بمرور الوقت معروفا بحاكم العالم السفلي وكان في الوقت نفسه أخا وزوجا لإيزيس، وهي عضو آخر في التاسوع"[1].

في اعتقاد المصرين القدامى أن إله الأرض "جب" كان متزوج من آلهة السماء "نوت" فأنجبا أربعة أولاد وهم (إيزيس، أوزوريس، ست، نيفتيس) ، تروي أسطورة ايزيس وأوزوريس باختصار، أن هذين الأخيرين كانا إلهين لكنهما عاشا بين البشر فتشبعا بأفكارهم وأخذا عن طباعهم، وكانت نتيجة ذلك أن أصبحا ينفعلان ويتأثران مثلهما مثل باقي البشر، تقول الأسطورة أن أوزوريس في معتقد المصريين القدماء ورث حكم رع، وجاء في هذه الأسطورة

[1] دون ناردو: الأساطير المصرية، تر: أحمد السرساوي، ط1، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، 2011، ص41.

أن أوزوريس كان إله الخير والعدل والحب، نتيجة عدله في فترة حكمه كسب احترام وحب الشعب، ولعل ما يبين أكثر تقديس وحب الشعب للآلهة في القديم هو قيامهم ببعض الطقوس الدينية، كترديدهم لشعارات تقديسية وتقديم القرابين وغيرها، هذا أثار حقد أخيه ست عليه، وولد كرها عميقا في قلب ست اتجاه أخيه، وقد كان أوزوريس رمزا للخصب، تزوج من أخته إيزيس والتي كانت هي الأخرى خصبة، أما ست فقد كان رمزا للشر، تزوج من الأخت الثانية نيفتيس التي كانت عقيمة لا تلد، وكانت هي الأخرى تغار من أختها ايزيس حيث أرادت أن تكون خصبة مثلها.

نتيجة غيرة وحقد ست على أخوه أوزوريس أراد أن يكيد له، فدبر له فخ ليتخلص منه وبهذا يحصل على رتبة أوزوريس ويكون ملكا بدلا منه، فقام بدعوة أخيه أوزوريس إلى حفلة أقامها لتنفيذ مخططه، قام فيها بصنع تابوت يقال انه مصنوع من الذهب، بعد أن تجرع كل الحاضرين قدرا من الخمر احضر ست التابوت وقال: "إليكم هذا العرض، كل منكم سيأخذ دوره في الدخـــول إلى هذا التابوت، ومن يتفق حجمه مع هيكل جسمه، فهو هديـة منـــي له"[1]، أخذ الحاضرون يتوافدون عليه إلى أن جـــاء دور أوزوريس ، فدخل داخل التابوت واستلقى فإذا بست وأعوانه يغلقون عليه التابوت والقوا به في نهر النيل، "فصاح ست مبتهجا فرحا بنصره قائلا: أخيرا تخلصت من هذا المحسن عديم القيمة، وأستطيع أن أستمتع بما كان يجب أن يهبه رع لي من البداية، ثم أعلن ست نفسه الملك الجديد الحاكم على مصر"[2].

عرفت ايزيس بالمأساة التي حدثت لزوجها ، فقررت أن تبحث عنه لتقيم له جنازة مناسبة بها ترتاح روحه، فبحثت عنه في كل مكان ، لتجده في النهاية في مدينة جبيل ، بعد أن دفعته المياه إلى هناك، لكن ست لم يستسلم ، وعندما عرف أنها عثرت عليه لحق بها ،

---

[1] دون ناردو، مرجع سابق، ص 44.

[2] المرجع نفسه، ص 44.

وأخذ منها الجثة بعيدا "وبغضب مزق جثة أوزير إلى قطع متعددة، وبعدما فعل هذه الفعلة البشعة، أمر أعوانه أن يخبئوا كل قطعة في مكان مختلف في أرجاء مصر، وكان متأكد أن ايزيس لن تجد الفرصة للعثور على القطع لجسد الإله أوزير جميعها"[1].

لكن رغم هذا لم تيأس ايزيس ، وبحثت عن القطع المتناثرة في كل مكان بمساعدة أختها نفتيس ، إلى أن عثرتا على جميع القطع، فاستطاعت ايزيس ترتيب القطع وإعادة أوزوريس إلى الحياة عن طريق ترديدها لتعويذات سحرية، في ذلك اليوم عبرت لأوزوريس عن حبه ما الذي لا يموت، وقامت بمعاشرة الجسد لتحمل منه، فحملت منه بطفل سمي حورس، وودعت مؤقتا زوجها الذي غادر الأرض وعين ليحكم مملكة الموتى[2].

أخذت ايزيس حورس بعيدا عن أعين ست ، وباشرت بتربيته أحسن تربية ، متبعة في ذلك نصيحة إله الحكمة تحوت، وقامت ايزيس بحماية ابنها ورعايته أفضل رعاية ، مستخدمة في ذلك السحر لتجعل منه قويا قادرا على محاربة ست واستعادة العرش، فكان لها ذلك، حيث كبر حورس وعاد ليطالب بعرش أبيه، فنشبت بينه وبين عمه صراعات وحروب، إلى غاية أن قررت الآلهة وضع حد لمثل هذا الصراع، فعقدوا محكمة للفصل بينهما "انقسم الآلهة فيما بينهم، يؤ يي بعضهم حق الطفل، ويرى آخرون انه قد تجاوز الحد في الاجتراء على عمه وأن عمه أحق منه بالملك وأجدر منه "[3]، من الذين أيدوا حورس تحوت الحكيم، أما الإله رع فقد وقف إلى جانب ست باعتباره اقوي من حورس، من هنا أعلن ست التحدي مطالبا بمقاتلة حورس أمام جميع الآلهة، والفائز فيها يحكم مصر، هنا وافق حورس على التحدي ليثبت ذاته، وبينما دخل حورس وعمه في صراع داخل النهر، قامت ايزيس بصنع رمح ورمته في الماء لتقتل به ست ، لكن أصاب في المرة الأولى حورس، فاستعانت بقواها

---

[1] دون ناردو، مرجع سابق، ص48.

[2] المرجع نفسه، ص48.

[3] سمير أديب: موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ط 1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص98.

السحرية ونزعت الرمح من ابنها ، ورمته مجددا فأصاب ست، فاستعطفها ست بالأخوة لتصفح عنه [1]، وكانت المفاجأة أن أخذت عنه الرمح وسامحته، فغضب حورس لأنها سامحت ست فقام بفصل رأسها عن جسدها متجها نحو الجبال، غضب جميع الآلهة واقسم الإله رع على معاقبة حورس، فقاموا بداية بإعادة إيزيس إلى تكوينها الطبيعي ثم شرعوا في البحث عن حورس، فكان أول من وجده عمه ست ، فقام بفقع عينيه مما اغضب الإلهة حتحور وجعلها تقف مع حورس ، فملأت عينيه بلبن الغزالة، استعاد بهذا حورس عينيه، فعاد الصراع بينهما من جديد ونشأت بينهما مشادات كثيرة، بعدها تدخل سيد العالم السفلي أوزوريس لينهي هذا الصراع، حيث أرسل تهديدا مقتضاه أنه إن لم يسلموا الملك لابنه فانه سيرسل لهم مخلوقات من شأنها أن تدمر سطح الأرض، هذا التهديد جعل الآلهة يعيدون التفكير ، وينصبون حورس ملكا على مصر ، أما ست فقد أخذه رع إلى السماء ومنذ ذلك الوقت وصوته يسمع على شكل رعد [2].

من خلال عرضنا لأسطورة ايزيس وأوزوريس فإننا نلمس بشكل واضح الحب بين سطورها، ولعل أبرزه ذلك الحب الخالد المطبوع بالإخلاص الذي كان بين أوزوريس وايزيس، حيث لم ترضى هذه الأخيرة بنهاية لحبها، فلم يهدأ لها بال حتى عثرت على جثة زوجها ، وأنجبت منه ابنا انتقم له في النهاية، لكن إذا ما تمعنا أكثر في أسطورة إيزيس وأوزوريس فإننا نجد عدة أشكال للحب خلافا عن الحب الرومانسي الذي كان بين بطلا هذه الأسطورة، أول هذه الأشكال هو الحب الديني، حيث يظهر لنا في حب الشعب للآلهة بصفة عامة وحبهم وتقديسهم للإله أوزوريس بصفة خاصة، كما تحمل الأسطورة شكل آخر للحب ألا وهو الحب الذاتي الأناني، والذي نلمسه في حب ست للملك وتعلقه به، فنتيجة هذا الحب لم يهتم ست للطريقة غير المشروعة التي تبناها في سعيه للحصول على الملك، وثاني أشكال

[1] دون ناردو، مرجع سابق، ص ص73 إلى 78.

[2] المرجع نفسه، ص78.

الحب البارز في هذه الأسطورة هو الحب الأمومي والذي يتبين لنا في حب ايزيس لحورس وتربيتها له ودفاعها عنه، أيضا نلمس في هاته الأسطورة حب الولد لأبيه، وهذا ما تجسد في حب حورس لوالده أوزوريس وسعيه للانتقام من عمه بعد إجرامه في حق والده.

ثانيا: الحب في الحضارة البابلية (ملحمة جلجامش):

تبدأ أحداث ملحمة جلجامش [*] بقيادة بطلها الذي هو مزيج إلهي لأمه وبشري لأبيه، حكم مدينة أوروك باستبداد وطغيان ، إذ كان يستبيح أعراض فتياتها، كما جعل من رعاياه عباد له، واشتهر بالقوة والبأس، هذا ما دفع بأهالي مدينة أوروكأن يشتكوا للآلهة عن بطشه معهم، مما دفعها لخلق منافس له من البشر ما يضاهي قوة جلجامش وهو انكيدو.

وعندما علم جلجامش بأمره أراد جلبه فراودته في ذلك حيلة تكمن في إرسال إحدى الغواني لتغريه بمفاتن جسدها ، فيقع فريسة حبها، فقال لها "اكشفي عن نهديك، اكشفي عن عورتك، لكي يتمتع بمفاتن جسدك، لا تحجم ـي بل راوديهِ وابعثي فيه الهيــام فإنه متى رآك وقع فـي حبك"[1]،وبهذا يستجيب لنصيحتها والتي تتجلى في ترك حياة البرية التي هو فيها، ويعيش معها في حياة المدينة عند جلجامش.

وما أن وطأت أقدام أ نكيدو المدينة حتى وجد جلجامش بانتظاره حتى يتصارعا كوحشين ثائرين ، لتنتهي بغلبة جلجامش واعتراف أنكيدو له بذلك، ولتنشأ أواصر صداقة عميقة بينهما، وهنا يقرر جلجامش اصطحاب أنكيدو معه للذهاب إلى غابة الأرز ، ليقضي على حارسها المارد، وليقطع شجرها حتى يكتب اسمه في قائمة الآلهة الخالدين ، "سأمد يدي (...) وأقطع الشجر فأسجل لنفسي اسما خالدا" [2]،بعد عودته منتصرا تأتي عشتار وتطلبه

---

[*] تعد ملحمة جلجامش من أعرق الملاحم قديما وتنتسب للحضارة البابلية وتعود الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وتعني كلمة جلجامش في اللغة السومرية المحارب الذي في المقدمه. (ينظر: طه باقر: ملحمة كلكامش، د ط، دون دار، د م، د س، ص10.)

[1] المرجع نفسه، ص42.

[2] المرجع نفسه، ص5.

للزواج قائلة له: "تعال يا جلجامش وكن عريسي وحبيبي وهبني ثمرتك أتمتع بها كن زوجي وأكون زوجتك سأعد لك مركبة من حجر اللازورد والذهب"[1]، لكنه يرفض ويذكرها بماضيها وما فعلته مع أزواجها السابقين، فتغضب وتقرر الانتقام منه بعد استعطاف شديد من والدها الذي قدم لها الثور السماوي الذي سيقضي على جلجامش، لكن أنكيدو وجلجامش استطاعا المسك به وذبحه، في تلك الليلة رأى أنكيدو كابوس مخيف ، إذ اجتمعت الآلهة ساخطة على أفعالهما ومقررة بإجماع موت أنكيدو، وهذا ما حدث فعلا إذ مرض أنكيدو مرضا شديدا فحزن عليه صديقه ، وظل ملازما له محاولا التخفيف عن آلامه، لكن الموت خطفه منه، فبكى وندب حظه لهول ما لحق به، فيرثيه ويقيم له تمثال من ذهب "من أجل أنكيدو خلي وصديقي (...) أبكي وأنوح نواح الثكلى انه فرحتي وبهجتي وكسوة عيدي"[2]، بعدها راح يجوب الصحاري والفقار بحثا عن سر للخلود، لكن في النهاية أدرك أنه لا نصيب له في الخلود لأنه بشر مكتوب عليه الحياة والموت.

من خلال عرضنا بإيجاز مقاطع من محلمة جلجامش، نجدها قد احتوت على قضايا إنسانية كبرى، فهناك الحرب والمغامرة والمكر والصداقة والحب، ولعل أروعها رثاء جلجامش لانكيدو والذي يوحي بدلالات كثيرة ابرزها:

بعد أن كان يغلب عليه الحب الأناني والطمع والرغبة في تملك الأشياء والأشخاص وجعلهم ملكه الخاص، جاء أنكيدو وقلب كل الموازين، وانصهرت أنانيته ليعقد علاقة صداقة مع أنكيدو ، ويتشاركا أفراحهما وأقراحهما، كذلك طبع صداقتهما الاهتمام المفرط، والذي تمثل في حزنه الشديد عليه وملازمته له وقت مرضه ، وعند وفاته ندبه و أقام تمثالا له، أي من حب الذات إلى حب الآخر.

---

[1] طه باقر، مرجع سابق، ص60.

[2] المرجع نفسه، ص73.

كما نجد تجلي لفكرة حب الخلود والرغبة في البقاء، وذلك من خلال الطمع الذي طبع عليه الإنسان، فهو من يدفعه إلى التشبث بالحياة ومحاولة إبعاد فكرة الموت عنه بشتى الوسائل، وهذا مافعله جلجامش في مغامرته ، سواء مع أنكيدو عندما قطعا الأشجار وقتل الحارس، أو بعد وفاة صديقه، إذ جاب الصحاري والقفار محاولا امتلاك سر الخلود وعدم الانهزام أمام الموت، إضافة إلى معايشته للألم الذي كان يعتصر بأنكيدو ، والمعاناة التي لحقت به، فأدرك أن مصير البشر هو الموت مهما كانت قوتهم أو صلابتهم، كما يبرز الحب الجنسي بوضوح في أفعال جلجامش االشنيعة، إذ لم يترك ولا فتاة عذراء لخطيبها أو حبيبها، وكذلك يظهر عندما حاولت إحدى الغواني إثارة أنكيدو بمفاتن جسدها، سرعان ما استجاب لها ووقع في شباكها، وكذا رغبة عشتار في الزواج من جلجامش لجماله وحسن خلقته.

ثالثا: الحب في الحضارة اليونانية (الإلياذة):

الإلياذة من أشهر ملاحم الشعوب القديمة عامة واليونانية خاصة هي والأوديسة، كلتا الملحتين هما من تأليف الشاعر اليوناني هوميروس [*]،وقعت أحداثهما في منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، والإلياذة تعني قصة اليوم أو اليوس والتي هي مدينة طروادة[1].

من خلال دراستنا للمحلمة نجد أنها قد احتوت على العديد من المواجهات الإنسانية، الحربية، والعاطفية، هذه الأخيرة هي من سنركز عليها حديثنا، وبصفة خاصة القصة التي جمعت بين باريس ابن ملك طروادة وهيلين زوجة الملك العظيم هيلاس ملك اسبرطة، تعود مجريات الحدث إلى ولادة باريس وتنبؤ الكاهنة لوالده الملك بريام أنه سيقضي إلى سقوط

[*] هوميروس: وقع اختلاف حول شخصية هوميروس بين من قال أن لا وجود له ولم يكن شاعرا، وبين من قال أنه كان شاعرا يونانيا من مدينة خيوس وعاش في القرن السابع قبل الميلاد،أما عن الإلياذة والأوديسة فقد اثبت البعض نسبتهما لشاعرين مختلفين. (ينظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، دط، مؤسسة هنداوي، مصر، 2014، ص15).

[1] هوميروس: الإلياذة، تر: دريني خشبة، ط1، دار التنوير، لبنان، 2014، ص17.

طروادة بفعلته على يد أعدائها، فيحاول الأب التخلص منه، لكن ما أن يكبر حتى توحي إليه ربة الجمال فينوس بما حدث معه ، وتعرفه على أهله ليقص عليه والده خبر أجداده، ومع عمته هيسونية المتغربة في ديار اسبرطة، وهنا يصر باريس على أن يبحر ويعود بها ويأذن له والده ويبحر باريس، ووصل إلى اسبرطة ليحظى باستقبال الملوك ويمكث في بيت ملك هيلاس وزوجته هيلين، التي ما أن وقعت عيناه عليها حتى غمزت قلبه الضعيف ، فوقع في حبها وهامت في هوى باريس.

لكن هيلين متزوجة ما الحل يا باريس؟ فقال لها:

"ألا يسرك يا هلين أن نعيش معا أبد الدهر؟

ألا يسرني ؟

ما السرور إذن يا حبيبي باريس؟

إذا فلنرحل في ظلام الفجر

إلى أين ؟

إلى طروادة ؟"[1].

وما أن علم زوجها بهروبها وخيانتها له مع باريس ، عز عليه أن تخدش كرامته ويستباح عرضه، فقرر أن يشن حربا على أهل طروادة ويعود بزوجته، واستعان بالأمراء ليجهز جيشا من خيرة الفرسان بقيادة أخيه أجاممنون واخيل الفارس المغوار الذي سيفتح طروادة حسب ما قال عنه الكهنة.

وأبحر الجيش حتى إذا ما وصل لشواطئ طروادة بدا في محاصرتها وتطويقها ، واشتبكا الطرفان لأكثر من تسع سنوات ، والدماء تسيل والأرواح تقتل وباريس الجبان يلهو ويتسامر مع هيلين الخائنة ، وامتدت الحرب لتصل بين الآلهة فيما بينها بين مؤيد وناصر لهذا وناقم وغاضب من ذاك. لتنتهي أوزار الحرب في السنة العاشرة بفتح طروادة بحيلة من

[1] هوميروس، مرجع سابق، ص42.

أوليسيز أحد فرسان إسبرطة، والذي استشار عليهم بفكرة صنع حصان من خشب، ليباغت به أهل طروادة، ويحول انتصارهم لهزيمة شنعاء وتفتح طروادة ويموت باريس [1].

تبين لنا قصة هروب هيلين برفقة باريس الآثار الناتجة عن هذا الفعل، وروح المخاطرة لديها في سبيل الحب ، وفي سبيل بقائهما مع بعض ، بغض النظر عن العواقب اللاحقة، سواء من إهانات وقذف وانتهاك للأعراض، أو احتمال وقوع حرب بين المدينتين، وهذا ما حدث بالفعل وأدى إلى سقوط طروادة. كما أن هيلين استطاعت أن تخون زوجها وتستجيب لأوامر مشاعرها وسلطة الحب، وباريس أيضا غدر البيت الذي استضافه وانتهك عرضه ليخطط مع زوجة غيره في الهروب، وهذا كله من وراء الحب الذي طبع على قلبيهما وأعماهما عن الآثار التي خلفها تهورهما.

إضافة إلى أن حب كل منهما للآخر لم يكن شهواني ينتهي بانتهاء النزوة، بل على العكس بالرغم من كل شي ء إلا أنهما بقيا معا، ونجد أن باريس قد احتمى بوالده بريام ملك اسبرطة، خاصة أمه التي ما فتئت تطلب من الآلهة حفظه وحمايته خوفا عليه من أن يصيبه أذى، وتصدق رؤية الكاهنة له، وهذا مظهر من مظاهر الحب الأمومي، كما نجد أن هيلين احتمت هي الأخرى بحب باريس لها.

[1] أنظر: هوميروس، مرجع سابق، ص ص من 79 إلى 240.

المبحث الثالث: المحبة في المعتقد المسيحي

ما من دين إلا وجاء حاملا لجملة من الفضائل الخادمة لمصالح العباد، والدين المسيحي المرتكز على الثالوث المقدس يجعل من المحبة عموده الفقري، هذا ما سنعرفه من خلال عرضنا لهذا المحتوى.

أولا: تعريف المحبة في المسيحية:

ذكر القاموس الموسوعي للعهد الجديد أن هناك العديد من الكلمات المعبرة عن المحبّة أهمها: "agapao، erao، stergo، phileo".

- **Phileo**: "هي الكلمة الأكثر شيوعا للمحبّة أو لمشاعر المودة، ويدل هذا الفعل على جاذبية الناس تجاه بعضهم البعض مما يقربهم معا، سواء كانوا من داخل أو خارج العائلة، كما يتضمّن هذا الفعل: الاهتمام، والعناية، والكرم، بالإضافة إلى المحبة للأشياء بمعنى وجود ولع بالشيء"[1].

- **Stergo**: "يقصد بها المحبّة، والشعور بالمودّة، خاصة المحبّة المتبادلة بين الآباء والأبناء. وتستخدم أيضا لمحبّة الشعب لحاكمه، ومحبّة الإله الوصي على الناس، وحتى محبة الكلب لسيده، وهو أقل شيوعا لمحبة الزوج والزوجة"[2].

- **Erao**: "يدل على الحب بين الرجل والمرأة، الذي يتضمن الشوق، والشهوة، والرغبة"[3].

- **Agapao**: "هي كلمة يونانية معناها "محبة، حب، وليمة حب"، ومثلها الفعل

---

[1] فرليند فيربروج: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ط1، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، 2007، ص5.

[2] المرجع نفسه، ص5.

[3] المرجع نفسه، ص5.

وتعني " يحب، محبوب، حب، محبة "، و agapetos " حبيب، محبوب "، هذه الكلمة كانت تستخدم في العهد القديم للدلالة على مختلف أنواع المحبة، إلا أنها في العهد الجديد أخذت طابعا خاصا، إذ لم تستخدم إلا في الدلالة على محبة الآلهية فقط"[1].

من الناحية الاصطلاحية:

عُرّفت في قاموس الكتاب المقدس على أنها "سواء استخدمت عن الله أو الإنسان هي الرغبة الحارة المتلهفة لأجل خير المحبوب والاهتمام العظيم برفاهيته" [2]، بمعنى أن المحبة هي شعور داخلي غايتها الأولى هي الاهتمام بالمحبوب (الله أو الإنسان) وبذل جهد من أجل إسعاده.

والمحبة المسيحية هي "من ثمر الإيمان، ومعناها في فكر المسيحيين الأوائل اهتمام جاد غير أناني بصالح القريب، يعبَّر عنه بالتضحية والمساعدة، فالمحبة ليست انفعالا عاطفياً أو انجذاباً رومانسياً يطالب بمحبة تتجاوب معه، وليست المحبة أيضا اتجاها عقليا ولكنها تغيير داخلي في الإرادة يتجه نحو خدمة القريب كتعبير عن محبة الله للإنسان وتشبيها بهذه المحبة"[3].

بمعنى أن المحبة لا يمكن التعبير عنها لفظيا، ولا تقييدها اصطلاحيا، وإنما تُعرف وتتجلى كسلوك فعلي مع الغير، فهي لا تتطلب مصلحة فردية ، بل علينا أن نحب الآخر كحبنا لذواتنا.

---

[1] رفعة دحيم ناصر الدوسري: صفة المحبة الالهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الاسلام منها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1429-1430 هـ، ص32.

[2] نقلا عن: قاموس الكتاب المقدس، ص285.

[3] فايز فارس: الأخلاق المسيحية، ج2، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1992، ص22.

كما تُعرف المحبة المسيحية على أنها "مبدأ تعاطفي يتجسد في تصرفات غايتها السمو بالطبيعية الإنسانية إلى أعلى درجة ممكنة من درجات الكمال إقتداء بالله الكمال المطلق"[1]،ونفهم من هذا أن الإنسان عن طريق المحبة يحاول أن يسمو بالطبيعة الإنسانية إلى أعلى درجة الكمال ، مقتدية بالله الكامل والمحبة المطلقة، فغاية الإنسان في حياته هي مشابهة الله في أكمل صفاته ، وهي المحبة بإعتبار أن الله هو المحبة، فيسعى الإنسان إلى الاعتقاد بها نظريا وتطبيقها عمليا في حياته.

وقيل في المسيحية أن "المحبة هي قمة الفضائل المسيحية الثلاث: الإيمان، والرجاء، والمحبة، وهي أعظم قوة في هذا العالم وأكثرها غموضا ، وهي تتحدى التعريف لأن معناها الحقيقي لايعرف إلا في الإختبار الديني"[2].

وعرفها البابا شنودة الثالث بقوله: "المحبة هي جماع الفضائل كلها"[3].

ما نستخلصه من التعريفين الأخيرين أن المحبة في المسيحية ليست فضيلة عادية، إنها أرقى الفضائل كلها، بحيث نجدها تسموا على فضيلة الإيمان والرجاء، فهي الجامعة بينهما وهي التي تعطيهما قيمتهما، فالإيمان بدون المحبة يكون ناقص، والرجاء دون محبة يكون بلا مبتغى.

تبدوا لنا أهمية المحبة ومركزها في المسيحية أكثر، عندما نتطرق إلى الله في المسيحية، حيث عرِّف هذا الأخير على أنه محبة ، أي «الله محبة»، هذا ما بينه الأب باسيليوس في قوله: "حينما نتحدث عن المحبة فإننا نتحدث عن شخص يسوع المسيح (...) فالله هو الحب والحب قوة (...) لذا اطلب من الله أن يعطيك هذه القوة وأن تمتلئ بفيض

---

[1] رفعة دحيم ناصر الدوسري، مرجع سابق، ص37.

[2] فايز فارس، مرجع سابق، ص67.

[3] شنودة الثالث: المحبة قمة الفضائل، دط، دون دار، د م، د س، ص8.

جديد من محبته" [1]، فالمحبة في المسيحية تعني أن لا تحسد، وأن لا تتفاخر وأن لا تفرح بالسوء وغيرها، وفي مقابل ذلك تفرح بالحق وتقسط وتصبر...الخ، وهذه الصفات نجدها عند الله، لهذا قيل أن الله محبة.

ثانيا: أنواع المحبة في الدين المسيحي:

اتخذ الحب في الدين المسيحي أشكال متعددة ومختلفة، فقد قدم لنا جورج منزريدي ثلاث أنواع للمحبة وهي كالتالي:

- "الأثرة التي توجهها المنفعة الشخصية، المجد والمال واللذة.
- المحبة الطبيعية التي تنبع من التعاطف الطبيعي كمحبة الوالدين للأبناء...الخ
- الإيثار الذي ينبع من محبة الله ومن الفضيلة بعيدا عن أية مصلحة شخصية"[2].

يتبين لنا في النوع الأول أن الحب إنما هو حب ذاتي أناني، بحيث يفكر الإنسان في ذاته لا غير، أي يفكر في نفسه وكيفية إرضائها عن طريق تحقيق ما يلزمها من مجد ومال ولذة وغيرها، دون أن يفكر في غيره، وهذا هو معنى الأثرة، أما النوع الثاني إنما هو حب طبيعي فطري، أي وجد في الإنسان بالفطرة، والنوع الثالث هو أسمى من الأول والثاني، حيث يعني تفضيل الغير عن الذات، والانتقال من الأثرة إلى الإيثار إنما هو دليل على كمال المؤمن في المسيحية.

كما عدد لنا البابا شنودة هو الآخر الحب فقال: "هناك أنواع من المحبة: نحب الله، ونحب الناس ونحب الخير"[3].

---

[1] باسيليوس: زمن المحبة، ط 1، جرافيك لينك، د م، 2004، ص186.

[2] جورج منزريدي: الأخلاق المسيحية، تر: الأب ميشال نجم، دط، دون دار، د م، دس، ص ص113-114.

[3] شنودة الثالث، مرجع سابق، ص10.

فالمسيحية قبل كل شيء تنادي بحب الله والتعلق به إلى درجة الانصهار فيه، ويعتبر هذا الأخير أسمى وأنقى وأطهر مستويات الحب، كما تدعوا المسيحية إلى حب الناس أي حب الآخرين، فالشعار المتجذر في المسيحية هو ما تحب أن يفعله الناس معك افعله أنت مع الناس، أو بعبارة أخرى أحب للآخر ما تحبه لنفسك، كذلك المسيحية تنادي بحب الخير، فالفاضل هو الذي يفعل الخير لذاته ، أي حبا فيه لا طلبا لجاه أو مكافأة، وهذين النوعين الأخيرين « حب الناس وحب الخير » هما طريقنا نحو حب الله، فنحن لن نستطيع أن نصل إلى محبة الله ما لم نحب الآخرين ومالم نحب الخير.

ثالثا: تعاليم المسيح في المحبة:

إن تعاليم المسيح كلها نجده ـا مبثوثة فـي أناجيل تلاميذه: « متى، مرقس، لوقا، ويوحنا »، إذ كانت تعاليمه عبارة عن مواعظ تحوي مجموعة من القيم الأخلاقية والروحية السامية منها: « الإخاء، التسامح، الرحمة، المحبة »، هذه الأخيرة شكلت جوهر حياة المسيح فجسدها في حياته وتعامله، وقد ذكرت الأناجيل وصايا المسيح في المحبة، والتي ترتكز على أساسين هما:

الوصية الأولى: "الله محبة"[1]، ورد هذا القول على لسان يوحنا، فيوحنا هو "التلميذ الحبيب الذي اتكأ على صدر اليسوع في عشائه الأخير ، وهو من كان برفقة مريم أم اليسوع وأخذها إلى خاصته بعد موت ابنها وهو من اختبر معنى المحبة قولا وفعلا في حياة معلمه "[2]، أي أن قوام حياة المسيح هي المحبة، سواء كانت مع أقرباءه أو حتى من هم غرباء عنه ، أو أعدائه، ولعل هذا ما جعله يضحي بنفسه من أجل خلاص البشر، وإذا كان هذا حال الإبن

[1] إنجيل متى: الإصحاح 22، [37-40].

[2] باتريك لود: المودة والرحمة والمحبة في الأديان، مجلة أديان، العدد 1، جامعة جورج تاون، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2011، ص32.

ومظهر لحب الرب لمخلوقاته، فما عساه يكون حال الوالد إلا أن يوصف بأنه المحبة الكاملة والمطلقة.

إن المحبة عامل متبادل بين البشر والله، إذ أن محبة الله لهم تستدعي محبتهم له بإتباع أوامره واجتناب نواهيه، ومحبة الله للخلق جلية لها علامات تدل عليها، منها أن صدق محبة الله للإنسان لا تكون من غير حب الإنسان للإنسان، "فتعريف الله بأنه محبة بمعنى أن الطبيعة الإلهية في حد ذاتها محبة، ففي المسيحية الله الواحد مثلث الأقانيم أو الوجوه، فالمحبة هي حركة كل من الأب وكلمته وروحه توجهه اتجاه كل من الأقنومين الأخريين"[1]، كما أن محبة الله تقترن بمحبة الإنسان لأخيه، فقد ورد في إنجيل متى على لسان اليسوع: "إن الذي يماهي ذاته وإخوته البشر الصغار يمنح الملك الأبدي لمن أطعم الجياع وسقى العطاش وأروي الغرباء (...) أما من لم يفعل فيحكم عليه بالعذاب الأبدي"[2]، أي أن المحبة هي القوة الدافعة لممارسة كل أنواع الفضائل التي على المسيحي أن يتحلى بها، فتصبح المحبة بمثابة الهوية الأساسية له، إنها عنوان حياته ودستورها.

عندما سئل المسيح ماهي أعظم وصية في الشريعة ؟ أجاب "أحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل عقلك"[3]،نفهم من هذه الوصية أنه يجب أن نفرد الله بالإيمان الذي يقود إلى طريق الحب دون سواه، وان نحبه بكل جوارحنا من خلال تقديم جامع للنفس برضا وحب، كما أنها لا تفترض الخوف لان الله محبة ومحبته تبعث الفرح والسرور.

الوصية الثانية : "أحب قريبك مثلما تحب نفسك"[4]،فمحبة القريب تكمل محبة الله، كما أنها تجلي واقعي وحقيقي واختبار للنفس عن مدى حبها لله، فالفرد المسيحي مفروض عليه

---

[1] باتريك لود، مرجع سابق، ص33.

[2] إنجيل متى: الإصحاح 52، [53-54].

[3] إنجيل متى: الإصحاح 22، [37.40].

[4] إنجيل متى: الإصحاح 22، [37.40].

التخلي عن الفردية والانعزالية والاندماج داخل الجماعة ، كي تنشأ المحبة بين أفراد المجتمع، ويصير الكل قريب من بعضه البعض، وبالتالي تنتفي كل الشرور والرذائل، لكن هذا لا يعني أن ننجذب للآخر كليا وننسى الخالق، فالمحبة تعني أن نحب الله ونحب الآخر "وكلما اقتربنا من بعض زاد تقربنا لله أكثر" [1]، بمعنى انه بحبنا للآخر نكون قد تشابهنا واشتركنا مع الله في صفة المحبة، فمحبة القريب تعني الاستعداد للتضحية من أجله دون أدنى قصد من ورائها، بل لأن المحبة تقتضي ذلك، وهذه وصية الرب اليسوع فقال لهم: "وصية جديدة أعطيكم بأن تحبوا بعضكم بعضا" [2]، بالمحبة تتجدد النفس وتتطهر لذا علينا أن نحب بعضنا كما أحبنا الرب واليسوع، والذي فدى بابنه ، فقبل اليسوع التضحية بنفسه في سبيل محبته لإخوانه، فبالمحبة نصير جسدا واحدا "ومن لا يحب أخاه الذي يراه فكيف يستطيع أن يحب الله الذي لا يراه" [3]، لنتعلم الحب مع أقربائنا أولا حتى يسهل علينا محبة العدو وجعله صديقا حتى وان أخطأ بحقنا، نحبه لأنه إنسان من صنع الله، ونبغض فيه خطئه فنساعده ونأخذ بيده حتى يتبين له النور من الظلمة ليستنير بها فيستقيم ويشكر الله لنا.

والمحبة في تعاليم المسيح تتجلى لنا في:

1) محبة الله: إن محبة الله هي الوقود التي يتزود به المسيحي ليحيا حياة فاضلة ومستقيمة، فادعاء محبة الله وحدها لا تكفي بالقول مالم تقترن بالفعل، أي الالتزام بوصايا وتعاليم ابنه اليسوع المسيح، واجتناب ما نهي عنه في الكتاب المقدس الذي هو شريعة كل مسيحي، يقول أوغسطين: "أساس المحبة العمل فالمؤمن إن لم يتسع وقته لأن يسبح ويرتل تراتيم الله

---

[1] جورج منرزيذي، مرجع سابق، ص117.

[2] انجيل يوحنا: الإصحاح 13، [34].

[3] انجيل يوحنا: الإصحاح 4، [20].

فليسبحه بسلوكه الخلقي"[1]،فقيمة المحبة في أفعالنا لا أقوالنا فحسب، والله خلقنا وبث إرادته فينا كي نحبه ونتقرب إليه دون ضغط أو خوف، وهنا نحن نتشابه معه في الإرادة والحرية ، فالمحبة تفترض الحرية كما الإرادة ، والله كما قال يوحنا "الله محبة" إذا فمحبته لا تدعو إلى الخوف بقدر ما تبعث في النفس الفرح والسرور ، وتقوده إلى الحياة الأبدية، والخوف يكون مستحقا ومطلوبا عندما يستشعر المسيحي برقابة الرب له فهنا يحاول أن يضبط ويكبح جماح نفسه وكل شهوات العالم المحيطة به فيقدم نفسه ذبيحة لله كما يقول أوغسطين: "الذبيحة الحقيقية هي كل عمل نقوم به لكي نتحد بالله اتحادا مقدسا فالمتعبد يموت عن العالم ليحيا لله "[2]،أي أن محبة الله تستلزم تقديم جامع للنفس من أعمال صالحة وبارة يتقرب بها للرب، مقتدين فيها بالابن يقول الرسول أفسس: " فاقتدوا بالله كأبناء أحباء وسيروا في المحبة سيرة المسيح الذي أحبنا وضحى بنفسه لأجلنا قربانا وذبيحة لله طيبة الرائحة "[3]، هنا الرسول يحثنا على إتباع سيرة المسيح التي تشع محبة ونورا ولعل تضحيته لأجلنا خير دليل، وهذا ما ورد أيضا في رسالة رومة "أناشدكم أيها الإخوان برأفة الله أن تجعلوا من أنفسكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله فهذه هي عبادتكم الروحية"[4].

2) محبة القريب: إن العالم الذي نحن فيه ليس مقرنا الحقيقي فمسكننا ورجاؤنا هو الحياة الأبدية، لذا فحياتنا هذه ليست مقتصرة على فردانية كل واحد منا واستقلاليته عن الآخر، بل هو مكمل لوجودنا ولمحبتنا لله، فلا يكتمل حبنا لله دون محبتنا لبعضنا البعض، ومحبتنا لهم ليس منحة نجود بها عليهم ، بل هي حق لهم علينا وواجب علينا اتجاههم، يقول الرسول: "سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة يسلم عليكم جميع الإخوة القديسين ولتكن

---

[1] أغوسطينوس: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطينوس، تر : يوحنا الحلو، ط 7، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2004، ص121.

[2] أوغسطينوس: مدينةالله، تر: يوحنا الحلو، ج1، ط2، بيروت، دار المشرق، 2006، ص464.

[3] أفسس: الإصحاح الخامس، [1-2].

[4] رومة: الإصحاح الثاني عشر، [1-2].

نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة روح القدس معكم جميعا" [1]، أي أن الله والابن وروح القدس والقديسين يباركون محبتنا لبعضنا البعض، ويقول يوحنا أيضا : "من أحب الله فليحب أخاه" [2]، أي أن يوحنا يعتبر أن محبتنا لله لا تتحقق إلا بمحبتنا لبعض، فكلما اقتربنا من بعض كنا أبناء الله واتحدنا به أكثر ، وبهذا ينتفي جشع الأنانية ليصبح الكل جسدا واحدا، فنحن الأشخاص والأشياء من أجل الله ونتقرب بها إليه يقول الرسول: "أوصي كل واحد منكم فضل النعمة الموهوبة لي أن لا يغالي في تقدير نفسه بل يتعقل في تقديرها، فكما أن لنا أعضاء كثيرة في جسد واحد ولكل عضو منها عمله الخاص به هكذا نحن في كثرتنا جسد واحد في المسيح كلنا أعضاء لبعضنا البعض" [3]، هنا يوصينا الرسول بأن نذيب كل الفوارق في علاقتنا مع بعضنا البعض ، فلا نحب البعض ونكره البعض الآخر ، بل نحن جسد واحد، فيجب أن نحب القريب مثل أنفسنا ، وأن نسعى لتحقيق ما يرغب فيه تماما ، كما نسعى لتحقيق رغباتنا بكل إخلاص ، ونتجنب إلحاق الأذى والشرور به ، وهذا هو عربون محبتنا للآخر، أي ما نفعله معه من سلوكيات حسنة أو سيئة.

إن المسيح هو قدوتنا في المحبة، فقد استوطن القلوب بفضل تواضعه ومحبته المتميزة لنا، فحمل كل خطايانا في جسده المقدس ليصلب لأجلنا، وليؤكد أن المحبة تفترض أن نشقى لنسعد الآخرين ، سواء أكانوا أقرباء لنا أو حتى كما نسميهم أعداء، فقراء أم أغنياء، أصحاء أم مرضى ، فالمحبة هي من تجمعنا وتجعلنا مثالا فريدا للحياة البشرية، يقول الرسول: "لتكن المحبة صادقة تجنبوا الشر وتمسكوا بالخير وأحبوا بعضكم بعضا كإخوة" [4]، أي أن المحبة لا تعني مبادلة الشر بالشر كشكل من أشكال الانتقام بل المحبة تجعل من العدو صديق.

---

[1] كورنتوس الثانية: الإصحاح الثالث عشر، [12-13].

[2] يوحنا: الإصحاح الرابع، [20-21].

[3] رومة: الإصحاح الثاني عشر، [3-6].

[4] رومة: الإصحاح الثاني عشر، [9-10].

إن المحبة تعطي للخاطئ أملا كي يتوب ويستمر على هده الحياة ، ورُبَّ خاطئ تواب خير من متوهم للقداسة وهو غارق في أخطائه ولا يتوب، فالصفح عن زلات البشر ومساعدتهم على ذلك نوع من المحبة التي لا تبتغي المقابل إلا الاشتراك في محبة الله ، يقول الرسول متى: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى"[1] .

هذه هي وصايا الرسول لنا ، كي تكتمل محبتنا لبعض ، وتصدق محبتنا لله ، فنكون بذلك أبناء الله حقا.

خلاصة:

في نهاية عرضنا لما سبق نخلص إلى أن الحب طاقة كامنة تحرك البشرية، تدفعها نحو العطاء اللامحدود، والمشاعر التي يعيشها المحب تجعل منه أسمى الكائنات وأجلها على الإطلاق، وإن تعددت تعاريف الحب وأشكاله فلا نكاد نختلف في مكانته في حياتنا، ولعل تاريخ البشرية هو تاريخ للحب على اختلاف تموضعاته.

وما من مبدأ يوازي المحبة أهمية في المسيحية، إذ يكفي أن يعرف الله على أنه محبة لتثمر محبته في تعاليم إبنه المسيح، الذي نادى بالمحبة قولا وفعلا لتبث عبر وصاياه أعظم الوصايا، فمحبة « الإنسان للإنسان » تساوي قيمتها لدى الله محبة « الإنسان لربه ».

[1] رومة: الإصحاح الثاني عشر، [14-18].

الفصل الثاني

الفصل الثاني: من ظلمة الخطيئة الى نور المحبة عند القديس أوغسطين

تمهيد

المبحث الأول: المسيرة الفكرية للقديس أوغسطين

أولا: أوغسطين والمانوية

ثانيا: أوغسطين ومذهب الشك

ثالثا: أوغسطين والأفلاطونية المحدثة

رابعا: أوغسطين والمسيحية

خامسا: منهج أوغسطين

المبحث الثاني: الخطيئة عند القديس أوغسطين

أولا: مفهوم الخطيئة في المسيحية

ثانيا: خطيئة آدم والذنب الموروث عند أوغسطين

ثالثا: مراحل الخطيئة عند أوغسطين

المبحث الثالث: المحبة عند القديس أوغسطين

أولا: تعريف المحبة عند القديس اوغسطين

ثانيا: أشكال المحبة عند أوغسطين

ثالثا: أهمية المحبة عند أوغسطين

خلاصة

تمهيد:

لا شك أن الإنسان يتجه نحو غايته بإرادته، فيحركها ويتحكم فيها لما يس اهم في تحقيقها والوصول إليها، ولقد كانت إحدى مرتكزات فلسفة أوغسطين ت أكيده على ضرورة البحث في كيفية الاهتداء للخروج بالإنسان من ظلم ة الخطيئة إلى نور المحبة، لذا كانت أفكار هذا الفصل مقسمة إلى ثلاث مباحث، الأول قدمنا فيه عرض لمسيرة القديس أوغسطين الفكرية، والثاني تطرقنا فيه إلى مفهوم الخطيئة في الدين المسيحي ، ثم عرضنا قصة خطيئة آدم في سفر التكوين وانعاكاساتها بنظرة أوغسطينية ، وتطرقنا إلى مراحل الخطيئة عنده، لنختم هذا الفصل بمبحث ثالث وذلك بلتطرق إلى مفهوم المحبة وأشكالها عند أوغسطين، ثم عرضنا أهميتها وفقا لما تغنى به القديس أوغسطين.

ومن هنا نطرح التساؤل التالي:

كيف يخرج الإنسان من ظلمة الخطيئة إلى نور المحبة في نظر أوغسطين ؟.

المبحث الأول: المسيرة الفكرية للقديس أوغسطين

ولد أوغسطين عام 354م من أب وثني وأم مسيحية تدعى مونيكا في تاغست شمال إفريقيا، زاول دراسته الابتدائية في تاغست ، ثم واصل تعليمه في مادور، تميز أوغسطين بالذكاء والبلاغة والفصاحة، لكن بسبب أوضاع عائلته المادية عجز عن السفر إلى قرطاج ومواصلة دراسته، رفض اعتناق المسيحية رغم محاولات والدته معه.

وفي مرحلة المراهقة جذبه تيار اللهو والمجون ، فانغمس في الشهوات ورأى فيها ضالته، يقول في كتابه الاعترافات: "ملت مع تيار فحشي واليه استسلمت" [1]،ويضيف: "كل ما يحلو لي آنذاك هو أن أعشق وأعشق تصاعدت من أتون شهوتي الجسدية" [2]، في هذا الوقت تعرف على فتاة وأحبها وأنجب منها ولدا غير شرعي ، أسماه أديودانت، كان ذكي كوالده، ولعل محاورة المعلم لأوغسطين خير دليل على ما دار بين الأب وابنه، وفي الوقت الذي كان فيه أوغسطين يلهو ويعبث كان أيضا يطالع أمهات الكتب القديمة إذ اشتهر بتميزه بفن الخطابة، حتى انه قيل عنه تفوق على أساتذته ، ومن أهم الكتب التي كانت بمثابة الموقظ لفكره والداعم له في بحثه عن الحقيقة كتاب شيشرون [*] "إذ استطاع أن يتعرف على عديد المذاهب الفلسفية السابقة كما أيقض فيه البحث عن الحقيقة" [3]،في هذه الفترة اطلع على الكتاب المقدس من باب العلم بالشيء لا أكثر ، لكنه خرج خائبا ، إذ بدا له انه دين يصلح للبسطاء من الناس لا أكثر يقول: "بدت لي تلك الكتب مقارنة بنصوص شيشرون

---

[1] أوغسطينوس: الاعترافات، تر: الخوري يوحنا الحلو، ط1، دار المشرق، بيروت، 1991، ص30.

[2] المصدر نفسه، ص29.

[*] شيشرون: فيلسوف ورجل دولة وخطيب روماني، تأثر به أوغسطين، من أشهر كتبه المقالة الأكاديمية وكتاب هورتنيسيوس. (ينظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، د ط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014، ص27).

[3] فايز فارس، مرجع سابق، ص29.

فخامة، واحتقرتها لركاكتها"[1]،لكن أبرز مشكلة أثارها فيه الكتاب المقدس هي مشكلة الشر، وهذا ما دفعه بالبحث عن تفسير لها.

أولا: أوغسطين والمانوية:

اعتنق أوغسطين بعد ذلك المانوية والتي تعود إلى الفارسي ماني [*]، والتي تعود جذورها إلى الفكر الشرقي القديم ، ونخص بالذكر الزرادشتية، والذي قال أن العالم يحكمه مبدأين هما: « الخير والشر » وكلامها ينسب إلى إله خاص به فأهريمان إله الشر، في حين أن أهورمازدا إله الخير، "وكل من هذين المبدأين مستقل ومنازع للآخر"[2]،أي أن حياة الإنسان صراع بين هذين القطبين، وقد انقسمت المانوية إلى طائفتين هما:

"السماعون: وهم المعتنقون للمذهب غير العاملين به أما أتباعه الأوفياء علما وقولا فهم الصديقون أو المختارون"[3]، أي أن المانوية فيها أتباعها المخلصين وفيها من يؤمن بها ولا يعمل بتعاليمها، وقد زعم ماني أنه المسيح المنتظر وأن عقيدته صحيحة، فكان لها العديد من الحواريين الذين راحوا ينشرونها في أوساط مدن عدة ابرزها روما، وفي هذه الأثناءكان أوغسطين غارقا في الملذات والشهوات الحسية فكان حسيا محضا.

اعتنق أوغسطين المانوية لأن أتباعها عرضوا عليه جوهر عقيدتهم بخداع لغوي وبلاغي براق، وكما نعلم أن أوغسطين كان خطيبا بارعا فجذبته المانوية، كما قدموا له حواريوها حجج ضد الكتاب المقدس وسخروا مما يحويه وخاصة قصصه، مكث فيها أوغسطين تسع سنوات، في الثلاث الأولى كان سماعيا فقط، بعد ذلك اطلع على كتبها وتفقه فيها حتى أصبح من أتباعها، وقد أعجب بما تبديه المانوية من أفكار في شكلها لا محتواها ،

---

[1] أوغسطينوس، الإعترافات، مصدر سابق، ص46.

[*] ماني فانك (205-274) عاش في القرن الثالث ميلادي، والذي عمل على التوفيق بين المسيحية والزرادشتية. (ينظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 2، مصدر سابق، ص314.)

[2] المرجع نفسه، ص314.

[3] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 26.

وأخذ منهم "أن الشر أبدي كالخير وأن جسم الله مضيء، وأن النفس جسم غير مرئي ورقيق إلا انه مادي وممتد" [1]، أي أن المانوية تعتقد أن الشر مطلق كالخير و أن الله جسم مادي، والنفس لا مرئية لكنها ممتدة ، يقول أوغسطين : "إنهم ليبحثون عن خفايا الأمور بما أتيتهم من حدة وذكاء ونباهة ولهذا اكتشفوا منها عددا لا يستهان بها وتنبأوا بالخسوف والكسوف قبل حصولها بسنوات" [2]، هنا يتجلى انبهار أوغسطين بالعلم الذي وصلت إليه المانوية خاصة في علم التنجيم، كما أنه وجد فيها ما يبرر أفعاله الدنيئة ، إذ حلت له المشكل الأخلاقي القائم على التعارض بين السلوك المثالي والسلوك العادي المنحط.

بقي أوغسطين على هذا الحال يطالع من جهة وداعيا من جهة أخرى ، إلى أن راوده الشك خاصة في الأفكار التي تعنى بالشمس وحركة الكواكب ومجرى الأيام، فقارنها بكتب فلسفية أخرى طالعها ، ليرى ما فيها من دقة وحساب ، وهذا ما شكل له استفاهات عديدة ، وجعلته في حيرة من أمره، لأنه أدرك أن هناك تناقضات وزيف في مبادئها، فظل يبحث عن أسئلة لإجاباته حتى سمع بقدوم الزعيم فوستوس إلى روما ، والذي سمحت له الفرصة للقائه وطرح استفاهماته ، لعله يجد لها إجابة عند زعيمهم، لكنه خيب ظنه واتضح له جهله بالمسائل العلمية والفلسفية يقول أوغسطين : "وما أن ظهر لي بوضوح عجزه عن شرح المواضيع التي كتب أملا أن يتفوق فيها حتى أخذت ثقتي بهت تضائل ولم اعد أرجو منه تنويرا (...) ظهر لي جهله التام للآداب الحرة ما عدا الغراماطيقا التي كان يلم بها الماما سطحيا" [3]، هنا أوغسطين اكتشف أن المانوية كانت تضليلا فكريا لا غير وأن الحقيقة التي ظن أنه وجدها كلها أوهام لا صحة لها، فخاب ظنه مما أدى به إلى تركها.

---

[1] علي زيغوز : أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، ط 1، دار إقرا، لبنان، 1983، ص125.

[2] أوغسطينوس، الاعترافات، مصدر سابق، ص80.

[3] المصدر نفسه، ص81.

ثانيا: أوغسطين والشكية:

بعد نبذ أوغسطين المانوية اجتاحته موجة شك في ماتقدم إليه من معارف ، فلم يعد يتبين صحيحها من فاسدها، غادر أوغسطين قرطاج متجها إلى روما لتدريس الخطابة هناك لسنة واحدة، بعدها يحصل على وظيفة في بلاط حاكم المدينة الجديدة لميلانو، مرض أوغسطين فأحس بالتعب نتيجة الحمى الشديدة التي أصابته لكن سرعان ما شفي، وبقي على إتصال بالمانويين دون أن يأخذ منهم شيئا يقول "فبقيت على اتصال بمختاريهم دون أن أرجو منهم تعليمهم الفاسد"[1].

وفي ميلانو تعرف أوغسطين على الأسقف أمبرور[*]، الذي أصبح صديقه المقرب، "وجد فيه ما يماثله علما وثقافة وأدب وخلق رفيع، وهو من دفعه إلى التخلي المطلق عن المانوية واعتناق النزعة الشكية" [2]، خاصة بعد قراءته لكتاب شيشرون «المقالات الأكاديمية».

إن فكرة الشك لم تنشأ مع المدرسة الشكية فقط، بل تضرب بجذورها إلى هيراقليدس الذي يقول بالصيرورة والتغير، وإلى السوفسطائية التي جعلت من الإنسان معيارا للصواب والخطأ، الخير والشر، الحسن والقبيح، فكل من هيراقليدس والسوفسطائيون قالوا بعدم إمكانية حصولنا على معرفة مطلقة، لتأتي المدرسة الشكية التي ظهرت في أواخر القرن الثالث وبداية الثاني قبل الميلاد، والتي ازدهرت الى جانب كل من المدرسة الرواقية والابيقورية، إذ قالت: "أن الإنسان لكي يصل إلى الحياة السعيدة يجب عليه أن يرفض كل إمكان للمعرفة

---

[1] أوغسطينوس، الإعترافات، مصدر سابق، ص91.

[*] أمبروز:337-397 أحد أهم علماء اللاهوت، وهو من بين المؤسسين لدعائم المذهب الكاثوليكي، اشتغل في السياسة ثم اعتنق المسيحية ليصبح أسقفا لمدينة ميلانو. (ينظر: ياقوت الفرعوتي، مرجع سابق، ص25).

[2] علي زيغور، مرجع سابق، ص27.

بهذا يصل إلى حالة الطمأنينة التي ينشدها"[1]؛أي أن الإنسان لكي يحيا سعيدا عليه أن يقر باستحالة معرفته لأي شيء من الأشياء، سواء في المعرفة النظرية أو العملية.

وأول من قدم نزعة شكية كاملة هو أبيرون، والذي رأى "أن على الحكيم أن يسأل نفسه ثلاث أسئلة: ماهية الأشياء وكيف تكون، كيف نرتبط بهذه الأشياء، ما يجب أن يكون عليه موقفنا"[2]، أما عن الإجابة المقدمة فانه يرى أننا "لا نعرف شيئا فكل ما نعرفه هو كما يبدو لنا أما جوهرها فنجهله"[3]، هنا أبيرون يحاول أن يثبت استحالة بلوغنا لليقين.

كما نجد أن المدرسة الشكية انقسمت إلى أربعة اتجاهات وهي:

- "الشك التطبيقي: ويمثله أبيرون.
- الشك الجدلي: ويمثله انسيدموس و أغريبا.
- الشك الاحتمالي: وتمثله الأكادمية.
- الشك التجريبي: ويمثله سكتوس و أمبريكوس"[4].

وعموما أفكار هذه الاتجاهات هي أن "الأولى تقول باستحالة الوصول إلى أي حقيقة بمعنى شك مطلق. والثانية تقر بإمكانية الوصول إلى الحقيقة من خلال الشك المنهجي فالأكاديميين المتأخرين سمحوا بإمكانية المعرفة"[5]، أي أنهم قالوا أن الشك طريق للمعرفة.

---

[1] عبد الرحمان بدوي: خريف الفكر اليوناني، ط4، مدرسة الطبع والنشر، القاهرة، 1970، ص64.

[2] ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دط، دار الثقافة، القاهرة، 1984، ص394.

[3] المرجع نفسه، ص394.

[4] ياقوت الفرعوتي، مرجع سابق، ص17.

[5] ولتر ستيس، مرجع سابق، ص397.

لاشك أن أوغسطين تأثر بهذه الأفكار خاصة بعد خيبة الأمل التي عاشها مع الزعيم المانوي فوستوس، ثم اطلاعه على كتاب شيشرون المقالة الأكاديمية، فحضوره لمواعظ القديس أمبروز الذين عرفه على الفلاسفة المحفليين إذ يقول: "إذ يقولون بأن الشك بكل شيء واجب وأن الإنسان عاجز عن فهم كل حقيقة فبدا لي حينئذ أن تعليمهم الصحيح هو ما كان يعزوه الناس إليهم" [1]، أن ما قاده إلى الشك في البداية هو حضوره لمواعظ القديس أمبروز، خاصة المواعظ التي تخص بعض المقاطع من العهد القديم ، والتي زعم المانويين بطلانها، بل وتمادوا إلى السخرية منها، يقول أوغسطين: "وأنها مزورة على يد أشخاص مجهولين أرادوا أن يدخلوا الشريعة اليهودية في الإيمان المسيحي، بيد أنهم لم يقدموا نصا واحدا دون تحوير" [2]، وعليه اكتشف زيف المانويين وتمويههم، ورغم ما تبين له فانه لم يعتنق المذهب الكاثوليكي ولم يناصره بل اتخذ موقفا حياديا، ودخل في دوامة شك ، فشك في كل شي، بل لم يؤكد شيء ، ولم ينف آخر، طالما لم تتبين له حقيقته ، فبدت له وكأنها صعبة المنال، "إذ انه اضطرب لحجج الشك فوقع في أزمة حادة من الشك، فشك في كل شيء غير أن شكه لم يتناول وجود الله وعنايته بمخلوقاته" [3]، أي أن شكه لم يطل العلوم المضبوطة والأمور الميتافيزيقية، وقد مكث أوغسطين في المذهب الشكي ثلاث سنوات ، متراوحا بين شكه المطلق من جهة وبين مطلعاته لكتب الفلاسفة من جهة أخرى ، باحثا عن الحقيقة التي ظن أنه قد وجدها في الأفلاطونية ، التي سينتقل إليها بعد غيبوبة الشك التي عاشها.

---

[1] أوغسطينوس، الإعترافات، مصدر سابق، ص 91.

[2] المصدر نفسه، ص93.

[3] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الاوروبية في العصر الوسيط ، مرجع سابق، ص 27.

ثالثا: أوغسطين والأفلاطونية المحدثة:

انتقل أوغسطين من النزع ـة الشكية إلى الأفلاطوني ـة المحدثة ، واطلع على كتب أفلوطين[*] التي ترجمها إلى اللاتينية « ماريوس فكتوريوس »، ويمكن تعريف الأفلاطونية أنها "محاولة لوضع فلسفة دينية أو دين متفلسف ، فهي مذهب قام على أصول أفلاطونية وتمثل من المذاهب الفلسفية اليونانية والشرقية "[1].

إن التصور الذي قدمه أفلوطين لله على أنه "واحد وخير على الإطلاق، وهذه الوحدة هي وراء كل كثرة انه لا يوصف وهو فوق كل تصور "[2]، هنا أفلوطين يصف الله بأنه المبدأ الأوحد والجامع للموجودات، وأنه خير خيرا مطلقا كما أنه متعال، ومن جهة أخرى وحدته لا تعني أن التعدد غير صادر عنه، رغم أنه مصدر الوجود.

"إن هذا التناقض يعزوه إلى نظرية تصوفية ليبرره ويحل المشكل بنظرية الفيض"[3]، أي أن أفلوطين فسر خلق الله للموجودات وكيفية دورها انطلاقا من نظرية الفيض ، وهذا الفيض هو العالم، وأول ما يفيض عنه هو العقل أو الفكر ، ويقصد به: "الفكر الذي يفكر في الواحد وفي نفسه"[4]، أي أن أول ما يفيض عن الله هو العقل، أما الفيض الثاني فهو النفس ويصفها "بأنها خارج الزمن وغير جسماني وغير منقسمة"[5]، بمعنى أن النفس تفيض من العقل وتتصف بأنها ذات طبيعة روحية ، وأنها وحدة لا تقبل التقسيم ، أما الفيض الثالث فهو

---

[*] افلوطين: ولد عام 205 ميلادي في ليقوبوليس بمصر ، وذهب الى روما واسس هناك مدرسته الافلوطينية وظل فيها حتى وفاته 270 ميلادي خلف مجموعة كتابات ابرزها محاورة ماريوس فكتوريوسوالتاسوعات. (ينظر: ولتر ستيس، مرجع سابق، ص301).

[1] ياقوت القرعوني، مرجع سابق، ص25.

[2] ولتر ستيس، مرجع سابق، ص303.

[3] المرجع نفسه، ص303.

[4] المرجع نفسه، ص303.

[5] المرجع نفسه، ص303.

الهيولى أو المادة، وأفلوطين يعتبر الهيولى هو علة الشر، ومن ثم فانه يجب أن نتحرر منها ومما يتصل بها، أي يقصد البدن لتتحد النفس مع الله .

إن هذه الأفكار أثرت في فكر أوغسطين كثيرا ، خاصة تفسيرها لمصدر الشر ، والذي كثيرا ما أرق أوغسطين، لتأتي الأفلاطونية وتجيب بأن مصدر الأشر هو البدن، كما فسرت له كيفية صدور الخلق عن المبدأ الواحد الذي سمع عنه في مواعظ أمبروز، إلى جانب ذلك وجد في الأفلاطونية "أن الإنسان هو عقل فقط وأن هذا العقل يكفي نفسه بنفسه" [1]، أي أن عقل الإنسان كفيل له بأن يكون مقياس كل موجود من عدمه.

إن هذه المبادئ وما انطوت عليه الأفلاطونية عادت بأوغسطين إلى كينونته وذاته الداخلية، لما أحدثته فيه من تغير فكري ، وأهمها أن الله ليس جوهر جسماني بل هو المبدأ الأوحد والكلي لهذا العالم.

رابعا: أوغسطين والمسيحية:

إلى جانب الأفلاطونية "واضب أوغسطين على حضور دروس امبروز والاستماع إلى مواعظه التي من خلالها الدفاع عن العقيدة المسيحية ضد الوثنين والبدع التي لحقت بها"[2]، هذه المواعظ غيرت رأيه في الدين المسيحي وفي الكتاب المقدس ، بعد الخيبة التي لحقت به عند قراءته له أول مرة ، فبقي خائفا ومترددا من أن يخدع مرة أخرى كما حدث له في كل مرة، وبقي أوغسطين على هذا الحال إلى أن جاء اليوم الذي كان مع صديقه ألبيوس في حديقة خلف منزله ، حيث سمع صوتا هاتفا يقول: « خذ واقرأ » ، فأخذ حينها رسائل بولس التي كانت على مقربة منه ، ففتحها وقرأ ما فيها وهنا وجد ضالته الحقيقية ، وقرر

[1] علي زيغور، مرجع سابق، ص130.

[2] المرجع نفسه، ص32.

اعتناق المسيحية ، ليتعمد على يد أمبرور هو وابنه أديودانت ويصبح أوغسطين أسقفا وينصب جل اهتمامه على العقيدة المسيحية، توفي عام 430م.

أما عن أهم مؤلفاته، فنجد أن أوغسطين بدأ يكتب بعد قراءة الكتب الأفلاطونية، فكان أول ما عالجه هو مسألة اليقين ، وهذا ما جسده في كتاب « الرد على الأكاديميين »، ثم نظر في « الحياة السعيدة » وفي « خلود النفس ».

ولما عاد إلى وطنه وجهه اهتمامه إلى مناهضة المبتدعة ، فكان ثمرتها « أخلاق الكنيسة الكاثوليكية وأخلاق المانويين » وكتاب « في سفر التكوين » و « ردا على المانويين » وكتاب « في الحرية »، ثم خطر له أن يترجم حياته ، ويبين كيف قاده الله من الظلمة إلى النور، فألف كتاب « الاعترافات »، ومن أهم مصنفاته بعدها كتاب « الثالوث » فيه خمسة عشر مقالة، ليتفرغ بعدها لكتاب « مدينة الله » بأجزائه الثلاثة، وقبل أن يتوفى بثلاث سنوات رأى أن يعود ويراجع مؤلفاته فكتب في ذلك كتاب « الاستدراكات ».

خامسا: منهج القديس أوغسطين:

إن الحديث عن منهج أوغسطين هو بالضرورة حديث عن مسار حياته ، التي ماثلت مراحل نضجه الفكري والعقدي، فقد شب على المطالعة والقراءة ، وتميز بالذكاء ، وهذا ما ساعده في الارتقاء شيئا فشيئا ، حتى وصل للحقيقة فاهتدى به، وأول ما قرأه هو كتاب شيشرون « هورتانسيوس »، إذ أيقض فيه حب الحكمة وضرورة البحث عن الحقيقة حتى يبلغ السعادة التي هي مبتغى الحياة الإنسانية ، "فأدرك أن الفلسفة هي طريقه في ذلك ، ورأى أن هناك شرطان لتحقيقها هما: الأول أن يكون ثابتا مستقلا عن تقلب المصادفة والحظ، والثاني أن يكون الموضوع كاملا لا مزيد عليه إذ أننا نرضى تمام الرضا إلا بالخير الأعظم وليس يتوفر هذان الشرطان في غير الله "[1]، فالسعادة مصدرها الله الكامل ، وكلما تقربنا منه

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص29.

بأفعالنا أكثر دون فزع أو قلق كنا سعداء، كما أنه يرى أن الفلسفة لا تستطيع أن تبلغ هذه الحقيقة لوحدها ما لم تقترن بالمسيحية ، "فهي وحدها تعرض علينا الحكمة كاملة عن الله والنفس وتوفر لنا الوسائل الفعالة للحياة الصالحة والاتحاد بالله، وهذه الوسائل ما تحمله إلينا الأسرار المقدسة فإذا أردنا السعادة فعلينا العمل بها "[1]، يقر أوغسطين بأن بلوغ الحقيقة مرهون بتطبيق الوسائل الفعالة من أجل حياة صالحة ، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الإيمان المسيحي، والاطلاع على أسراره التي تتجاوز قدرة العقل المحدودة.

ويرى أن للعقل مهمة لكن بعد الإيمان، ومهمته شرح وفهم العقائد الدينية والتدليل عليها وهنا الإيمان سابق على العقل فيقول: « آمن كي تتعقل ، تعقل كي تؤمن »، إذ أن هناك حقائق لا يبلغها العقل البشري ، كالأسرار المسيحية ، هنا يسلم بها العقل فقط ، ومنه نؤمن أولا ثم نتعقل ثانيا،والإيمان والعقل يؤلفان المسيحية ، فأوغسطين من خلال مقولته لم يفصل بينهما بل جمع بينهما ، ورأى أن كل منهما يكمل الآخر وضروري لوجوده، " فهو يرى أن الإيمان ليس عاطفة غامضة،ولكنه قبول عقلي للحقائق إن لم تكن مدركة في ذاتها كالحقائق العلمية (...) وللعقل مهمة بعد الإيمان هي تفهم العقائد الدينية "[2].

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 30.

[2] أوغسطينوس: في شرح الموعظة على الجبل، د ط، دون دار، د م، د س، ص 5.

المبحث الثاني: الخطيئة عند القديس أوغسطين

تستنكر المسيحية الخطيئة الأصلية وتعتبرها مصدر شقاء الإنسان، كما تعتبرها مصدر لكل الشرور كما قال عنها القديس أوغسطين، هذا ما سنعرفه من خلال عرضنا لهذا المبحث.

أولا: مفهوم الخطيئة في المسيحية:

عرّف لنا الكتاب المقدس الخطيئة على أنها "التعدي على شريعة الله وأحكامه. وكل من يفعل الخطية يفعل التخطي أيضا. وخطيئة الترك هي إهمال ما تفرضه شريعة الله. أما خطية الفعل فهي ارتكاب ما نهت عنه تلك الشريعة"[1].

وعُرِّفت أيضا على أنها "مرض روحي وأدبي، من أخبث الأمراض وأشرها، إذ تفتك بالروح وتقضي على الحياة (...) هذا المرض أصاب البشر فأذلهم وأضنك قواهم"[2]، أي أن الإنسان بسبب الخطيئة التي توارثها وانتقلت إليه ، كانت نتيجتها أن حل الشر في نفسه واستكانت له، فأصبح أكثر عرضة للآثام والشرور ، ونتيجة لذلك حلت به أمراض روحية أفقدته السلام والطمأنينة ، وجعلته يعيش في عاصفة من التوتر والصراع بين قوتي الخير والشر، إلى جانب ذلك تهاوت أخلاقه وجعلت منه عبدا ذليلا لشهواته ، فكانت النتيجة موت روحي وأدبي، "فالخطيئة أفقدت الإنسان كرامته وهيبته وأيضا مركزه الاجتماعي بين الناس وأضاعت سمعته"[3]، ومن هنا نفهم أن الخطيئة أماتت في الإنسان الإحساس وأعدمت ضميره، فلم يعد يميز بين الخير والشر، ولا بين الفضيلة والرذيلة.

---

[1] بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، ص237.

[2] كاراس المحرقي: شوكة الخطيئة، ط5، دون دار، د س، ص7.

[3] المرجع نفسه، ص18.

أما إيتن جلسون فرأى أن الخطيئة قبل كل شيء فعل رذيل أو شرير ، وقال بأنها "اضطراب في علاقة الإنسان بخالقه ناتجة عن إرادة حرة، ومن هنا يبتعد وينحرف الإنسان عن الله ويحكم على ذاته بالشقاء"[1]،نفهم من مقولة جلسون أن الخطيئة تعود بالدرجة الأولى إلى إرادة الإنسان، إذ خلق الله فيه الإرادة وترك له الحرية، وعليه فالخطيئة فعل واع وتجاوز مقصود لعمى النفس.

ثانيا: خطيئة آدم والذنب الموروث عند أوغسطين:

تبدأ قصة الخطيئة عندما خلق الله آدم وزوجته حواء، وأمرهما أن لا يأكلا من ثمار إحدى الأشجار الموجودة وسط الجنة، حيث جاء في سفر التكوين "وأخذ الرَّبُّ الإله الإنسان الذي جبله، ووضعه في الفردوس ليفلحه ويحفظه. وأوصى الرَّبُّ الإله آدم قائلا: من جميع الشجر الذي في الفردوس تأكل أكلا. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكلوا منها، لأنكم يوم تأكلون منها موتاً تموتون"[2]،فلقد خلق الله الإنسان وميزه عن بقية الكائنات، إذ جعل منه كائنا أخلاقيا عاقلا ذو إرادة حرة، جاعلا منه خليفة له، نتيجة هذه الميزات التي فطر عيها الإنسان خاطبه الله وأمره بأن لا يأكل من ثمار شجرة وجدت في وسط الجنة، لكن آدم وزوجته حواء خالفا أمر الرَّبُّ وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها، ومن هنا فإن الإنسان أخطأ بإرادته وبحريته، هذا ما أكده القديس أوغسطين في قوله: "وفي الواقع لقد خلق الله الإنسان سليما، مستقيما، لأنه خالق الطبيعة من دون ألم؛ ولكن الإنسان خطئ بحرّيّته، فعوقب بعدل"[3]،فالإنسان حر ومريد منذ بدأ الخليقة وإلى أن يفنى العالم، فقد أبدعه الله بمحبته وأوجده من العدم ليتسامى من الموجود المتناهي إلى الإله اللامتناهي، والذي وصف على أنه محبة، فالمحبة سمة إلهية لا تخضع لأي ضغط أو إكراه بل تعود إلى إرادته الحرة،

---

[1] إيتنجلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، تر : إمام عبد الفتاح إمام، ط 3، مكتبة مدبولي، الكويت، 1996، ص280.

[2] سفر التكوين: الإصحاح الثاني، [15-17].

[3] أوغسطينوس: مدينة الله، ج 2، مصدر سابق، ص126.

أي أن المحبة تماثل الحرية، ولعل خطيئة آدم خير برهان على ذلك، فالرب خلقه على صورته وبث فيه محبته، وفي مقابل ذلك ترك له الحرية ، إن شاء عاش تحت رحمته وفي ضل محبته، وإن لم يشأ ضل وابتعد، يقول أوغسطين: "الإرادة المستقيمة هي المحبة الحق، والإرادة الشريرة هي الحب الشرير" [1]، ومن هنا فإن الإرادة هي المنبع الذي تصدر عنه كل الفضائل الأخلاقية، والتي تعود جميعا إلى المحبة باعتبار أن الله محبة، وعلى هذا فإن الخطيئة إنما هي نقص في المحبة.

ولعل السؤال المطروح هنا هو: ما سبب عصيان آدم وحواء لأوامر الله ؟.

جاء في سفر التكوين "وكانت الحية أحكم جميع الوحوش التي على الأرض، التي عملها الرَّبُّ الإله، فقالت الحيّة للمرأة: لماذا قال الله لا تأكلا من كل شجرة في الفردوس ؟ فقالت المرأة للحيّة: من ثمر شجر الفردوس نأكل، وأما من ثمر الشجرة التي في وسط الفردوس فقال الله: لا تأكلا منه، ولا تمسَّاه لئلا تموتا. فقالت الحيّة للمرأة: لن تموتا موتاً لأن الله عالم أنه يوم تأكلان منه، تنفتح أعينكما، وتكونان كآلهة عارفين الخير والشر فرأت المرأة أن الشجرة جيّدة للأكل، وأنَّها بهيجة للعيون أن تراها وأنَّها حسنة للتّأمل. فأخذت من ثمرها وأكلت، أعطت رجلها أيضا معها فأكلا. فانفتحت أعين الاثنين، وعلما أنَّهما كانا عُريانين فخاطا أوراق تِيْنٍ وصنعا لأنفسهما مآزرَ. وسمعا صوت الرَّبُّ الإله ماشيا في الفردوس في المساء، فاختبأَ آدم وامرأته من وجه الرَّبُّ الإله في وسط شجر الفردوس فناد الرَّبُّ الإله آدم وقال له: آدم أين أنت ؟ فقال له: سمعت صوتك ماشيا في الفردوس فخشيت لأني عريانٌ فاختبأت. فقال له: من أخبرك أنك عريان ؟ إلا إن كنت قد أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها وحدها ؟ فقال آدم: المرأة التي أعطيت أن تكون معي هي أعطتني من الشجرة فأكلتُ. فقال الرَّبُّ الإله للمرأة: لماذا فعلت هذا ؟ فقالت المرأة ؟ الحية أغوتني فأكلت. فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج 2، مصدر سابق، ص168.

وحوش الأرض. على صدرك وبطنك تسعينَ، وتراباً تأكلينَ كل أيّام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يرصد رأسك وأنت ترصدين عقبهُ. وقال للمرأة: تكثيراً أُكثّرُ أحزانكِ وتنهُّدكِ بالأحزانِ تلدينَ أولاداً. وإلى رجلك يكون ملاذك وهو يسود عليكِ. وقال لآدم: لأنك سمعت لصوت امرأتك وأكلت من الشَّجرة التي أوصيتك ألا تأكل من هذه وحدها، ملعونة الأرض بأعمالكَ. بالأحزان تأكل منها كلَّ أيام حياتكَ. وشوكاً وحسكاً تنبتُ لك، وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزك، حتى تعود إلى الأرضِ التي أُخِذتَ منها. لأنك ترابٌ وإلى تراب تعودُ. ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حيّ. وصنع الرَّبُّ الإله لآدم ولامرأته أقمصة من جلد وألبسهما. وقال الله: هو ذا آدم قد صار كواحد منّا يعرف الخير والشَّرَّ. والآن لعله يمدُّ يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرَّبُّ الإله من فردوس النعيم، ليفلح الأرض التي أخذ منها. فطرد آدم وأسكنه أمام فردوس النعيم، وأقام الكروبيم، وسيف نار متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة"[1].

من هنا يتبين أن الحيَّة هي السبب الذي أدى بآدم وزوجته إلى عصيان الله، وهناك من يرى أن هذه الحيّة قد تلبسها الشيطان أي "دخل الشيطان في الحية فصار لها ذكاء وحكمة أكثر من كل الحيوانات التي خلقها الله، فجميع الحيوانات ليس لها عقل ولا قدرة على النطق ولكن استطاعت الحية بالشيطان الداخل فيها أن تجذب الإنسان بالحكمة الشريرة إلى الخطيئة ويبدوا أن الإنسان قد لاحظ هذه الحكمة ولم يرفضها بل قد يكون قد أعجب بها قبل الحديث مع الحيّة، مع أنه كان يحي مع الله في شبع روحي ولا يحتاج إلى حكمة أخرى أو ذكاء يناله من أي مخلوق آخر" [2]، وبعد إغواء الحية لحواء بدت لها الشجرة صالحة للأكل فأخذت منها أكلت وأعطت لزوجها فأكل، ونظرا لفعلهما " انفتحت أعينهما على حد سواء، واكتشفا –نتيجة خطيئتهما وحماقتهما في عصيان أمر الله– أنه يمكنهما أن يميزا بين الخير

[1] سفر التكوين: الإصحاح الثالث، [1-24].

[2] شنودة الثالث: الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، ج 1، ط 1، كنيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية، مصر، 2006، ص41.

والشر ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ لقد تولد التشويش والخجل لقد خسرا البراءة وأصيبا بعقدة الذنب"[1]، "وتقرر دور الشيطان منذ هذه اللحظة وتقرر سلطانه على البشر وعلى العالم الأرضي في مقابلة العالم الإلهي في السماء، فكل صفة توصف بالشر فهو عمله وكل خطيئة أو غواية أو ضلالة تنسب إليه"[2].

وبعد أن عرف الله بخطيئتها وواجههما برر كل منهما لنفسه مرجعا سبب الخطيئة إلى الآخر، فقال آدم عندما سأله الرَّبُّ عن سبب أكله من الشجرة التي نهاه عنها « المرأة أعطتني »، أما حواء فقد بررت لنفسها قائلة « الحيَّة غرتني »، وعندما سمع الله لتبريرهما وتنصلهما من المسؤولية اعتبر ذلك حالة ندم منهما لذنب المرتكب، فبدأ بالحكم على الحيَّة كونها سبب الغواية، وبالتالي مصدر الخطيئة، فكان عقابها اللعن الإلهي وأيضا الزحف على البطن تأكل من تراب الأرض طول حياتها، وكذلك جعل بين نسلها ونسل المرأة عداوة ، هي تسحق عقبه وهو يسحق رأسها، وكان المقصود بهذا هو المسيح الذي سيسحق رأس الحيَّة ويحرر المؤمنين من ذنب الخطيئة، أما عقوبة المرأة فكانت الولادة أي الإنجاب، وأيضا اشتياقها لزوجها، الذي يميل عنها إلى السيطرة فيكون بهذا سيدا عنها، وعقوبة الرجل كانت الكد والشقاء في الأرض، حيث لعن الله الأرض بسببه فأصبحت لا تعطي بسهولة وإنما بتعب وشقاء، ومن هنا كان سقوط آدم في حيز الخطيئة سبب فقدانه لميزة الخلود ، وطرده من الفردوس، وأصبح واقعا تحت حكم الموت.

ومن هنا يتبين لنا أن نتيجة رغبة آدم وحواء في أن يتألها بمعزل عن الخالق أن سقطا في بؤرة الخطأ، فخرجا بهذا من حياة الله، حياة الخير والكمال، إلى حياة الأرض، حياة الشر والكد والشقاء والموت، والذي توارثته الأجيال من بعد آدم ، وهذا ما تؤكده المسيحية التي ترى

---

[1] آدم كلاك: شرح سفر التكوين، تر: لورانس لمعي رزق الله، ط 1، د م، 2015، ص61.

[2] موالك فاطمة الزهراء: رمزية الشر في الخطاب التأويلي الديني بول ريكور–نموذجا–مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، ص27.

"أن الخطيئة إنتقلت إلى الجنس البشري فأصبح الجميع وارثا لها، يقول الأمبا بشوي: لقد خلقت خطية آدم حالة خطيـة أعطيت لكل فرد من أفراد الجنس البشري المتناسل منه"[1]، هذا ما أكده القديس أ وغسطين بقوله: "فالناس الأوائل الذين خطئوا، حل بهم موت حقيقي تناول ذريتهم بأسرها، اذ لا يلدون من يختلف عنهم. فظاعة الخطيئة استحقت القضاء الذي شوّه بالعمق كيانهم؛ حتّى إن الموت الذي عوقب به الأوائل بسبب خطيئتهم، أصبح، بالنسبة إلى أجيالهم المتعاقبة شرطا طبيعيّا" [2]، فبعد أن كان الإنسان يحيا حياة أبدية بجوار الرَّبْ تحت سلطان الله، اختار بحريته أن ينفصل عن مجده ، بعد ارتكابه لأعظم خطية شهدها التاريخ، يقول القس فايز فارس على لسان القديس أوغسطين: " إن الإنسان عند الخليقة في جنة عدن كان يحب الله بحرية في سعادة وطاعة كاملة، لكنه باختياره الحر ابتعد بإرادته بعيدا عن الخالق، وهبط إلى مستوى سائر المخلوقات، بل بالأحرى اتجه إلى ذاته، أي أنه اختار أن يكون تحت سلطان ذاته لا تحت سلطان الله" [3]، فالقديس أوغسطين يرى أن الإنسان عندما أراد أن يستقل بنفسه، ويكون تحت سلطان ذاته نافرًا من سلطان الله، فانه بهذا وقع في خطيئة الكبرياء، والتي تولدت عنها كل الخطايا.

نفهم من قصة الخطيئة أن الخطيئة عصيان لأوامر الله ومخالفة لشريعة الرَّبْ الإله، قال القديس أوغسطين: " الخطيئة عمل وقول وميل مخالف للشريعة الأبدية "[4]، من هذا نستنتج أن أوغسطين ينظر للخطيئة على أنها أعمال وأقوال وميولات تخالف شريعة الله، أو نقول أنها تخالف الإرادة الإلهية التي تنهى عن تجاوز النظام الطبيعي للأشياء، كما وصفها على أنها شر في الإنسان ، وهذا ما يظهر في قوله : "الخطيئة هي شر في الإنسان وفوضى

---

[1] حفيظ اسليماني: خطيئة آدم وحواء بين التصّور المسيحي والتصّور الإسلامي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، د س، ص12.

[2] أوغسطينوس، مدينة الله، ج 2، مصدر سابق، ص111.

[3] نقلا عن: فايز فارس، مرجع سابق، ص31.

[4] أغوسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطينوس، مصدر سابق، ص114.

حقيقية؛ بالخطيئة يميل الإنسان عن الخالق الأسمى إلى الكائنات الدنيوية" [1]، فهو يرى بأن الخطيئة تزعزع النفس الإنسانية، حيث تجعل الإنسان يفقد قدرته في السيطرة على نفسه، فيبتعد بهذا عن حياة الله ويميل إلى حياة الدنيا، ومن هنا ينشغل قلبه عن حب الله ويميل إلى حب الكائنات الدنيوية.

لقد رأى أوغسطين أن الخطيئة ولدت مفهوم الشر، هذا الأخير الذي حاول أوغسطين منذ أولى مراحل نموه الفكرية أن يبحث عن تفسير لوجوده وأصله، وهذا ما قاده إلى اعتناق المانوية، والتي قالت أن الشر مطلق كما الخير، فوجدت مبرر لرذائل البشر، لكن أوغسطين لم يكتف بما قالته المانوية بل واصل بحثه في الشكية ثم الأفلاطونية التي جعلت من البدن مصدرا للشر، وألهت الرَّبَّ ونزهته من الشرور، وقالت أن طبيعته خيرة خيرا مطلقا، هذا ما جعل أوغسطين يتساءل من أين يأتي الشر إذا ؟.

ظل أوغسطين يبحث عن مصدر للشر حتى اهتدى إلى المسيحية وعلم أن الله كامل كمال مطلق، وخير خيرا مطلق ، وهو المسؤول عن كل ما خلق، وأن كل طبيعة خلقها هي خيرة بالضرورة، وبالتالي فإن الله لم يخلق الشر، حتى إنه لم يخلق إبليس شريرا ، بل هذا الأخير أراد أن يكون كذلك ، حيث قال أوغسطين : "فقد شاء أن يكون إبليس الذي خرج صالحا من يد الله أن يصير شريرا بإرادته الذاتيه؛ وإذ أرسل إلى المناطق السفلى أصبح لعبة، بين أيدي الملائكة، بحيث إنّ التجارب التي يزرعها تحت أقدام القديسين تعود لخيرهم" [2].

ولقد بين القديس أوغسطين الطريقة التي بها أكتسب الشر معيدا ذلك إلى الخطيئة الأولى، خطيئة آدم وحواء حيث قال: "لقد سقط في الخطيئة، بواسطة المرأة، التي أستُلّت من جنبه، قبل الخطيئة (...) بيد أن البزرة التي كان علينا أن نخرج منها قد شوهتها الخطيئة.

---

[1] أغوسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطينوس، مصدر سابق، ص114.

[2] أوغسطينوس، مدينة الله، ج 2، مصدر سابق، ص29.

وحملت أثقال الموت، بحكم عادل، جعلت الإنسان مولود الإنسان في الحالة عينها" [1]، من هنا عرَّف لنا القديس أوغسطين الشر على أنه: "حرمان من الخير وعاقبته العدم" [2]، أي أن الشر هو نقص في الخير وعاقبته تؤدي إلى الفناء والفساد، فإرادتنا بطبيعتها خيرية وتميل إلى حب الخير، لكن سوء توظيفنا لها يقودنا إلى الشر.

أما عن مصادر الشر فيقول أوغسطين أنها ثلاث شهوات "شهوة العين وشهوة الحس وشهوة السلطة" [3]، أي أن مصدر الشر هو تلذذ الإنسان بالشهوات التي تأتي من النظر ، ومن الحواس ومن المال.

ولقد كان للخطيئة انعكاساتها، فالمسيحية ترى أن الله عادل رحيم، ونظرا لعدله ورحمته وحبه للبشر كان عليه أن يغفر سيئات وأخطاء البشر "ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلما ليكفر عن خطيئة البشر. وعليه فالمسيحية تعتقد أن المسيح جاء ليغفر الخطايا ويظهر للخطات أن الله أعظم من خطياهم" [4]، هذا ما ذهب إليه أوغسطين عندما رأى أنه "بسبب الخطيئة الأولى أصبح الجنس البشري يعاني في الحياة الدنيا، من الجهل والعبودية للشهوة، وضعف الإرادة وضرورة المعاناة في الحياة (...) إلا أن الله رحمة بالإنسانية وحبا لها تجسد في المسيح ليفديها ويخلصها من خطيئتها الأصلية " [5]، وكانعكاس للخطيئة الأصلية ظهرت العقائد المسيحية الثلاث المتمثلة في:

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج 2، مصدر سابق، ص126.

[2] أوغسطينوس، الإعترافات، مصدر سابق، ص52.

[3] أوغسطينوس، عظات على رسالة يوحنا الاولى، مصدر سابق، ص52.

[4] محمد أحمد الخطيب: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، دط، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، د س، ص264.

[5] زينب محمود الخضري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، د ط، دار قباء، القاهرة، 1998، ص84.

أ) **الفداء والخلاص:** إن من ينكر وجود المحبة ينكر فضل اليسوع عليه، فهو لم يكن محتاجا أن يأتي إلا لأنه يحبنا، والرَّبُّ لم يفتدي بابنه إلا لمحبته لنا، وليخلص البشرية من توارثها للخطيئة الأولى، يقول أوغسطين: "بهذا ظهرت محبة الله فينا أن أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به" [1]، أي أن الرب أرسل ابنه ليخلص البشرية ، ولتحيا من جديد في نور المحبة، فكان بهذا اليسوع شفيع للبشرية جمعاء، يطهرهم من كل الخطايا يقول أوغسطين: "وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا" [2].

ب) **الصلب:** إن الله محبة، ومحبته لنا تفترض أن يكون عادلا، فحين أخطأ آدم عوقب بالحرمان والفساد والطرد من الجنة، "لكن لصفة الرحمة كان على الله أن يغفر هذه الخطيئة بأن يسفك دم المسيح فجمع بين الرحمة والعدل بمحبته" [3]، أي جاء المسيح ليفدي البشرية ويكفر عن سيئاتها بدمه، يقول أوغسطين: "ودم المسيح يسوع ابنه يطهرنا من كل خطية" [4]، فتجسدت في هذا رحمة الله ومحبته للبشر، حيث تحمل المسيح ابن الله الألم والعذاب والموت من أجل أن تحيا البشرية من جديد، يقول أوغسطين: "تذكروا دائما أن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح مات لأجلنا" [5].

ج) **قيامة المسيح:** تؤمن المسيحية أنه بعد أن افتدى المسيح البشر بدمه وخلصهم من ذنب الخطيئة الأصلية، عاد وقام بعد ثلاثة أيام من صلبه، وكانت هذه قيامته الأولى، هذا ما أكده الرسول مرقس بقوله: "وَلَمَّا انْتَهَي السَّبْتُ، اشْتَرَت مَرْيَمُ المَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةُ طُيُوباً عِطْرِيَّةَ لِيَأْتِينَ ويَدْهُنَّهُ. وَفِي الْيَوْم الأَوَّل مِنَ الاسْبُوع، أَتَيْنَ إلي القَبْرِ بَاكِرَاً

---

[1] أوغسطينوس، عظات على رسالة يوحنا الأولى، مصدر سابق، ص129.

[2] المصدر نفسه، ص12.

[3] أحمد شبلي: المسيحية، ط 1، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1988، ص157.

[4] المصدر السابق، ص12.

[5] المصدر نفسه، ص21.

جِدًّا مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ. وَ كُنَّ يَقُلْنَ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ: "مَنْ يُدَحرِجُ لَنَا الحَجَرَ مِنْ عَلَي بَابِ القَبْرِ؟ "لَكِنَّهُنَّ تَطَلَّعْنَ فَرَأَيْنَ أَنَّ الحَجَرَ قَدْ دُحْرِجَ، مَعَ أَنَّهُ كانَ كَبِيراً جِدًّا. وَإِذْ دَخَلْنَ القَبْرَ، رَأَيْنَ فِي الجِهَةِ اليُمْنَي شَابّاً جَالِساً، لَابِساً ثَوْباً أَبْيَضَ، فَتَمَلَكَهُنَّ الخَوْفُ. فَقَالَ لَهُنَّ: "لَا تَخَفْنَ. أَنْتُنَّ تَبْحَثْنَ عَنْ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ الَّذِي صُلِب. إِنَّهُ قامَ! لَيْسَ هُوَ هُنَا"[1]،فالمسيح أتى ليخلصنا من ذنب الخطيئة، ويخرجنا من ظلمة الفناء إلى نور المحبة والحياة الأبدية، فيتحرر المسيح من فكره الدنيوي الذي يُغرب طبيعته فيتحد بالله ويشترك في قيامة المسيح، فيولد المسيح فيه وهو حي، حتى يعيش الحياة الأبدية حين يقوم المسيح يوم القيامة، ويقوم معه كل البشر، هذا ما أكده القديس أوغسطين بقوله: "الكل يشهد بقيامة المسيح جهارا، وقيامة كل البشر في اليوم الأخير"[2].

أما قيامته الثانية فيؤمن المسيحيين بمحاسبة اليسوع لهم، حيث يكون يوم القيامة جالسا على يمين الرب مجازيا للأخيار محاسبا للأشرار، يقول القديس أوغسطين: "نؤمن بمجيئ المسيح الأول والثاني: الأول تم ولم يفهمه اليهود، والثاني آت وكلنا نرجوه"[3]، ويقصد هنا بالمجيء الأول قيامة المسيح الأولى بعد صلبه في الحياة الدنيا، أما المجيء الثاني فقصد به القيامة التي ستكون يوم الدينونة.

ثالثا: مراحل الخطيئة عند أوغسطين:

يرى أوغسطين أن الخطيئة على ثلاث مراحل وهي:

"إثارتها، التلذذ بها، ثم إرضائها وتنفيذها. والإثارة تحدث عن طريق الذاكرة أو الحواس فتحدث لذة إذا أرضيناها أصبحت خطيئة"[4]، ويضيف: "تتسلل الإثارة بواسطة الحواس

---

(1) أنظر: إنجيل مرقس، الإصحاح 16، [1-6].

(2) أوغسطينوس: قيامة المسيح وقيامتنا، تر: الأمبا إيساك، د ط، دير السيدة العذراء، د م، 1998، ص16.

(3) أوغسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، مصدر سابق، ص 55.

(4) أوغسطينوس، في شرح الموعظة على الجبل، مصدر سابق، ص ص 88-89.

الجسدانية كما تسللت الحية في إثارة حواء عن طريق الحية، أما التلذذ بالخطيئة فيحدث مثلما تلذذت حواء، وأما إرضاء الخطيئة فحدث في العقل كما في ادم وبسبب الخطيئة طرد الإنسان من الفردوس والبر الأعظم إلى الموت"[1]، هنا يسقط أوغسطين مراحل الخطيئة على ما حدث مع آدم وحواء في ارتكابهما للخطيئة، إذ بدأت بشهوة في القلب ، فحاولا إرضائها والتلذذ بها لتبلغ حد الفعل والتنفيذ وتكون النتيجة بالسقوط.

ويرى أوغسطين أننا جميعا ولدنا محملين بالخطيئة ، لكن بمحبة الله نلنا الخلاص، إذ سفك دم اليسوع من أجلنا حتى يخلصنا من خطيئة آدم، ونولد من جديد، لكن هذا لا يعني أن الإنسان قد تطهر من كل الخطايا التي سيرتكبها في عالمه، وفي نفس الوقت إن قلنا أننا بلا أخطاء نكون بذلك نخدع أنفسنا ونكذب على من معنا، فالاعتراف فضيلة وحق، والحق نور، وفي موضوع الخطيئة لا وجود لخطيئة صغيرة يستهان بها وأخرى كبيرة، فكم من صغيرة قادت إلى كبيرة، ولا يقولن أحد أن اعترافي بالخطأ لفظيا كافي لإسكات غضب الناس بل هذا هو الخطأ عينه، إذ الأجدر أن نعترف به بصدق أمام أنفسنا أولا ، وأن نعرف أن الله علمه كلي، فهو يعلم ما نسر وما نعلن، فإن اعترافنا وندمنا بصدق سيمحو ما أخطئنا به إن اتبعنا طريق المحبة وسكنت قلوبنا وحركت أعمالنا، فالكل محتاج إلى الاعتراف الذي يقوده إلى الإتضاع، يقول أوغسطين: "الإتضاع وقود المحبة، وبداية الإتضاع هو الاعتراف بالخطيئة"[2]، فالاعتراف أول بذرة وبداية مسلك المحبة الحق ، كما يقول أوغسطين : "الخطيئة هو أن نفعل ماهو مضاد للمسيح" [3]، وعندما سئل ماذا يقصد بكلامه في معنى حديثه رأى أن كل ما هو ضد المحبة هو ضد المسيح، أي أنه يوصينا بمحبة الله التي تقود إلى محبة القريب قولا وعملا.

---

[1] أوغسطينوس، في شرح الموعظة على الجبل، مصدر سابق، ص89.

[2] أوغسطينوس، عظات على رسالة يوحنا الأولى، مصدر سابق، ص 9.

[3] المصدر نفسه، ص87.

المبحث الثالث: المحبة عند القديس أوغسطين

تعتبر المحبة عند القديس أوغسطين القنديل المضيء ، الذي به يخرج الإنسان من ظلمة الخطيئة، فهي الجسر الرابط بينه وبين ربه، وكذلك بينه وبين بني جنسه، حتى بينه وبين نفسه، فهي تلعب دورا فعالا في تطهير الإنسان من مخلفات الخطيئة الأصلية ، التي فتكت به وأفسدت حياته، هذا ما سنعرفه من خلال تطرقنا لهذا المبحث.

أولا: تعريف المحبة عند أوغسطين:

يرى أوغسطين أن « الله محبة »، على هذا هو يؤكد لنا أن المحبة "ليست شعارا ولا ملكية، وليست هي صفة من صفات الله؛ إنها ماهية الله نفسه"[1].

ما يتضح لنا من هذا التعريف أن أوغسطين يرى في المحبة شيئا خارج عن الشعارات، فهي ليست مجرد كلمات وعبارات تردد على الألسن، كذلك هي شيء يتجاوز صفات الله، بهذا هي ليست لا شعار ولا صفة في الله، إنما المحبة في نظر أوغسطين هي في ذاتها جوهر الله.

ويقول أيضا: "الحب هو المحرك الصميمي للإرادة "[2]،فبما أن الإنسان كائن ذو إرادة، تتجه إرادته نحو شيء أو هدف معين، فإن الحب في نظر أوغسطين هو الذي يقود هذه الإرادة نحو ذلك الهدف، أي هو الذي يحركها، وبهذا يكون أساسها.

لقد خلق الله الإنسان بإرادته، وبمحبته ترك له حرية اختياره، فالمحبة تتبع من الإرادة، يقول أوغسطين: "الإرادة المستقيمة هي المحبة الحق، والإرادة الشريرة هي الحب الشرير" [3]، بمعنى أن الإنسان إذا انساق وراء نفسه واستجاب لها ، تكون الإرادة الشريرة هي من يرفض

---

[1] علي زيغور، مرجع سابق، ص158.

[2] المرجع نفسه، ص202.

[3] أوغسطينوس، مدينة الله، ج2، مصدر سابق، ص168.

الخروج من ظلمة الحب الشرير إلى نور المحبة الحق، فإن استقامت فينا الإرادة كانت محبتنا صالحة، وإن ضللنا تماهت وتغلبت الشرور علينا ، فانتفى معنى الحب، وليست المشكلة في جهله أو عدم تبينه للصواب من الخطأ، بل في عجزه عن الوصول إلى طريق البر، ولا يكون ذلك إلا من خلال إيقاظ الإيمان في النفس بالمحبة، التي تجعل الإنسان في حالة سكون وطمأنينة داخلية، لتجعل منه إنسانا مخلصا قاهرا لشهواته ، ومتغلبا عليها ، ومتفاني في محبة الله ومحبة القريب.

إن الإرادة هي المنبع الذي تصد عنه كل الفضائل الأخلاقية ، والتي تعود جميعا إلى المحبة، باعتبار أن الله محبة ، يقول أوغسطين: "إن المحبة هي اللؤلؤة الكثيرة الثمن، التي بدونها لا يفيدكم أي شيء، لكن هي وحدها تكفيكم عن كل شيء بالإيمان الآن ترون وبعد ذلك تكتمل الرؤية بالعيان" [1]،نفهم من هذا التعريف أن المحبة أم الفضائل ، ونعمة النعم، بدونها لا يفيد أي شيء، لكن في وجودها يكتمل الناموس الإلهي ، فالله محبة وما دمنا أبناؤه سنبقى على العهد حتى نراه قولا وعملا.

ويرى أوغسطين "أن الحب أساسي في الإنسان، وهو قوة باطنة فيه، تجذبه إليها كما تجذب الجاذبية الأجسام التي تقع. إن المحبة تقودنا الى مكان راحتنا: تقودنا إلى أسفل عندما نحب الكائنات السفلى والى أعلى عندما نحب الله"[2].

من هنا كان الإنسان في نظر أوغسطين كائن إرادي حر بمحبته، فإذا ما أحب الكائنات السفلى فإنه سيتجه إلى الأسفل، وإذا ما أحب الله فإن روحه تقوده إلى الأعلى أين يتمركز محبوبه.

---

[1] أوغسطينوس، عظات على رسالة يوحنا الأولى، مصدر سابق، ص93.

[2] علي زيغور، مرجع سابق، ص202.

ثانيا: أشكال الحـــــب عند أوغسطين:

للحب عدة أشكال في فكر القديس أوغسطين، استقاها من تعاليم المسيح ورسله ، فجاء حاملا لها متغني بها، وفقا لما يوافق الكتاب المقدس، وأشكال الحب عنده كالتالي:

أ) محبة الله ومحبة العالم: يتضح لنا من من هنا أن هناك نوعين للمحبة، محبة الله ومحبة العالم..

1- محبة الله: إن المحبة نابعة من الله وممنوحة للإنسان المسيحـي، فهـي صفة مشتركة بين الله والإنسان، والمحبة كما يصفها أوغسطين هي علامة بنوتنا لله، فالإخلاص فيها والعمل بمقتضاها ليس من باب الضرورة والإلزام، بل تشبيها واقتداء بالرب وابنه، فبمحبته خلقنا ، وبمحبته تخلصنا من الخطيئة ، بفداء الرب لابنه الوحيد ليصلب ويتحمل الآلام والعذاب عن البشر ، ليعيشوا في كنف المحبة ، فأوغسطين يصرح بأن: "الإنسان يتميز عن الكائنات الأخرى والتي هي دونه بحبه وذلك بحبه لوجوده ومعرفته التي هي موضع شبه مع صورة الله وبذلك الشبه وذلك الحب تميز الإنسان"[1].

من هنا يتضح لنا أن المسيحية تؤمن بأن الله أحب العباد، فأراد الله أن يظهر للعباد محبته عن طريق إرساله للمسيح، أي أن المحبة هي سبب ظهور المسيح، هذا معبر عنه أوغسطين في قوله: "وأي دافع لمجيء المسيح أعظم من هذا، وهو أن الله أراد أن يظهر به محبته لنا"[2]، من هنا يرى أوغسطين أنه علينا أن نرد الحب بالحب، أي بمعنى أن الله عندما أحبنا فإنه من واجبنا أن نبادله الحب، في هذا يقول: "أما وقد سبق الله فأحبّنا ولم يوفّر ابنه عنّا، فعلينا وإن كنّا كره أن نحبّه، أن نطـرح عنا الآن كل كراهيـة ونبادلهـ المحبة"[3].

---

[1] رفعة دحيم ناصر الدوسري، مرجع سابق، ص47.

[2] أوغسطينوس: تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي في الحياة السعيدة، في الكذب، ترجمة يوحنا الحلو، ط 1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2007، ص19.

[3] المصدر نفسه، ص ص19-20.

لكن السؤال المطروح هنا هو كيف نحب الله ؟.

يجيبنا القديس أوغسطين عن السؤال بقوله "من يحب الله يطيع وصاياه في كل أمر من الأمور. وان الذي يحب الله هو من يخضع لناموسه ووصاياه من يحب الله يدرب نفسه أن يتقدس لأن الله قدوس....فمن يحب الله لا يفكر الا في السماويات والأمور الإلهية لأن الله لا يحب الا القداسة والبر والرحمة. من يحب الله لا يفعل إلا ما يحبه الله...الخ"[1].

يتضح لنا مما تقدم أن القديس أوغسطين يعدد لنا بعض التصرفات التي من شأنها أن تقربنا من الله، وتجعلنا نحبه كما يحبنا، فيدعون إلى (الأخذ بوصايا الله..وكذلك التفكير في الله دون أمور أخرى، وأن نفعل ما يحبه الله ونجتنب ما نهانا عنه.... الخ)، ففي نظر أوغسطين الأخذ والتقيد بهكذا تصرفات تجعل الإنسان يحب الله أكثر، فيكون بهذا بادله الحب.

2- **محبة العالم:** إن حياة الإنسان طالما أنها مرتبطة بالزمن، فعليه أن يحياها بشكل يجعله راض عن التوازن بين ما يفكر ويقول وبينما يفعل، لكن هذا لا يعني أن يخضع هو للعالم بل بالعكس، فهو سيده وهو مخلوق من أجله، ويحق له أن يسيّره وفق ما تقتضيه إياه إرادته الخيرة، ويعرف أوغسطين العالم بقوله: "إنه لا يقصد به على الأشياء المتعينة فقط كالبحر والشمس، بل تشمل سكانها أيضا أي الأشخاص"[2]،فهؤلاء تطغى عليهم ثلاث شهوات حسب أوغسطين وهم: «شهوة الجسد، شهوة العيون، وتعظم المعيشة»، يقول القديس أوغسطين: "ثلاث أمور ليست من الأب بل هي من العالم "[3]، هنا أوغسطين يؤكد أن هذه الثلاثية ليست من صنع الله بل من صنع الإنسان نتيجة انحرافه عن الطريق الصحيح، كما أنها قابلة للفساد والزوال ، لأنها ترتبط بوجود الإنسان ، وهو مكتوب عليه عدم الخلود،

---

[1] أوغسطينوس: الحياة المسيحية للقديس أوغسطين، ترجمة اشعياء ميخائيل، د ط، د د، د س، ص 29.

[2] أوغسطينوس، عظات على رسالة يوحنا الأولى، مصدر سابق، ص 45.

[3] المصدر نفسه، ص42.

والخطيئة هي من تجعلنا نميل إلى الفناء جسديا، لكن اليسوع سفك دمه لأجلنا ، كي ننال خلاصا أبديا، ونحيا حياة أخرى في ظل المحبة التي نتشارك بها مع الله.

يتضح لنا أن أوغسطين يقصد بمحبة العالم حب الحياة الدنيا والتعلق بحلاوتها، وهو يصف حلاوة الحياة هذه بالفخ حيث يقـول: " فخٌ هي حلاوة هذه الحيـاة. يضـع أعدائي طعما في الفخ حتـى إذا ما استهوتني وقع رأسي في شرها وأطبق علـيّ الفخ "[1].

يدعوا أوغسطين إلى عدم التعلق بجمال الحياة كونها مجرد فخ، لأن هذا الفخ سيتلاشى ويتحطم، وعند حدوث ذلك فإنه سيتحاشانا لأننا لسنا فيه، هذا ما نلمسه في قول أوغسطين: "إني لواثق من أن الفخ سيكسر وسوف تتلاشى حلاوة هذه الحياة بعد أن يكتمل شوطها في الوقت المحدد إنما يجب أن لا أتعلق بها لكي أتمكن من أن أثب ت أقول حين يتحطم الفخ: لقد تمزقت الشبكة ونجوت أنا"[2].

إن العلاقة بين حب الله وحب العالم حسب رأي أوغسطين إنما هي علاقة عكسية، فإذا ما أحببنا العالم فإنه لا وجود لحب الله فينا، وإذا ما تشبعنا بحب الله ، فإننا بهذا نطرد حب العالم من قلوبنا، يقول أوغسطين: "إن كان فيك حب العالم فلا محل لحب الله. انف عنك حب العالم وأقم فيك حب الله ليحل محله الحب الأفضل"[3].

ويرى أوغسطين أن الله لم يحرم حب العالم (الجميل)، لكن وضع لذلك شرط ، ألا وهو حب العالم من أجل الله، أي نحبه لأن الله صانعه، يقول أوغسطين: "إن الله لا يحرّم عليك محبة هذا الجميل؛ شرط ألاّ تحبه سعيا وراء سعادتك وبحثا عنها؛ بل حبا بالخالق وتمجيدا له"[4].

---

[1] أغوسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطينوس، مصدر سابق، ص 29.

[2] المصدر نفسه، ص29.

[3] المصدر نفسه، ص26.

[4] المصدر نفسه، ص27.

يلقب أوغسطين حب الله بحب الحياة الأبدية، بينما حب العالم فهو حب الحياة الزمنية، على هذا هو يمجد الأول على حساب الثاني من أجل التنعم بحياة أبدية، حيث يقول: "ارع محبة الله في قلبك كي تحيا إلى الأبد كما هو الله إلى الأبد"[1].

ب) محبة الآخر: يقول القديس أوغسطين "من قال أنه في النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة. من يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة أما من يبغض أخاه فهو في الظلمة وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينه "[2].

ما يتضح لنا من هذا القول، أن حب الآخر في نظر أوغسطين إنما هو شبيه بالمكان الذي به نور، حيث كل شيء فيه واضح لا عثرة فيه، بينما البغض فهو شبيه بالظلمة، والذي يبغض أخاه فإنه كذلك الأعمى الذي يمشي وهو لا يعرف أين يتجه، من هنا كان النور ملازم لمن يحب أخاه، وكانت الظلمة تتبع البغض، فإذا ما أحب الإنسان أخاه فإنه في النور ثابت، وإذا ما بغضه فهو في الظلمة تائه.

ويرى القديس أوغسطين أن المسيح قد ضحى بنفسه من أجلنا، فيقول أنه علينا نحن كذلك أن نضحي بأنفسنا من أجل بعضنا البعض ، هذا ما يتبين في قوله: "وكما أن المسيح بذل نفسه في سبيلنا كذلك علينا نحن أيضا أن نبذل نفوسنا في سبيل إخوتنا "[3].

إن محبة الآخر تظهر في مجموعة المساندات التي يقدمها الإنسان لأخيه الإنسان، والتي تتمثل فيما يلي ، حسب قول أوغسطين "كل هذه الأعمال هي أعمال ضرورية: أن تشاركوا طعامكم مع جائع، أن تشاركوا بيتكم مع المحتاج ومن ليس له مأوى، أن تعتنوا وتكسوا عريانا"[4].

---

[1] أغوسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطينوس، مصدر سابق، ص 27.

[2] أوغسطينوس، عظات القديس أوغسطينوس على رسالة يوحنا الأولى، مصدر سابق، ص 13.

[3] أوغسطينوس، تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب، مصدر سابق، ص 19.

[4] أوغسطينوس: المسيح مجد الشهداء، ترجمة ريمون أسقف رزق، د ط، المركز الثقافي القبطي الأرثذكسي، د م، 2012، ص39.

ج) محبة القريب: "إن الإنسان لا يستطيع أن يحب القريب إذا كان لا يحب الله، وبالعكس . لذا يجب حب جميع الناس الصديق منهم والعدو "[1]، فحب القريب في الدين المسيحي وعند أوغسطين مرتبط بحب الله، حيث لا يمكن للإنسان أن يحب القريب دون أن يحب الله، وفي الوقت ذاته لا يمكنه أن يحب الله دون أن يحب القريب.. لكن السؤال المطروح هنا هو كيف نحب القريب ؟.

يجيبنا أوغسطين عن هذا السؤال بقوله "أن من يحب قريبه مثل نفسه هو الذي لا يرغب أن يحل الشر على قريبه كما أنه لا يرغب أن يحل هذا الشر على نفسه وعلى العكس فانه لو نال خيرا فانه يشرك قريبه بسرور معه لأن الإنسان يرغب أن يحصل على الخير الذي يمنح للآخرين "[2].

إن محبة القريب عند أوغسطين ينطبق عليه مثل « أحب لأخيك ما تحبه لنفسك »، حيث يجمل لنا الصفات والتصرفات التي من شأنهما أن يعبرا عن حب الإنسان لقريبه، وهي كالتالي: (أن لا يتمنى الشر لقريبه وفي مقابل ذلك يتمنى له الخير، وكذلك مشاركة الخير الذي يناله مع قريبه..).

د) محبة العدو: تلخص محبة الله مستويات عدة للمحبة، فكما أشرنا أن محبتنا لله لا تكتمل دون محبتنا للقريب، ومحبة ذواتنا محبة صحيحة ، كذلك وجب أن نحب أعداءنا حتى تكتمل محبتنا لله، ومن هنا فإن محبة الأخوة لا توصل إلى الكمال ولكي نصل إلى هذا الأخير وجب علينا حب العدو، يقول القديس أوغسطين: "كيف يوصينا يوحنا بالمحبة الأخوية باعتبارها شيئا عظيما ومهمة للوصول للكمال بينما الرّب يوضح لنا أن محبة الأخوة غير كافية ولكن يجب أن يمتد هذا الحب ليشمل إلى أعدائنا" [3]،ومحبتنا لأعدائنا هي من يثبت صدق محبتنا لله، فلكي نشترك جميعا في النور وجب أن نأخذ بأيدي المذنبين والعاصين،

---

[1] علي زيغور، مرجع سابق، ص158.

[2] أوغسطينوس، الحياة المسيحية للقديس أوغسطين، مصدر سابق، ص32.

[3] أوغسطينوس، عظات القديس أوغسطينوس على رسالة يوحنا الأولى، مصدر سابق، ص141.

فحياتنا التي نعيشها هي في الله ومع الله وليست مع البشر، وقدوتنا في ذلك المسيح الذي عفا حتى على أولائك الذين صلبوه وطلب صفح الرَّب لهم.

إن المحبة تمتد من المقربين إلى الآخرين الذين لا نعرفهم، لتتجاوزها إلى الذين أذونا، فالمحبة أدب الروح وكمال محبة الله فينا، يقول أوغسطين: "إن أحببت عدوك أقام الله فيك وكملت محبته لك"[1]، من هنا يدعونا القديس أوغسطين وفقا لما جاء في الكتاب المقدس إلى محبة من نعتبرهم أعداء لنا، وذلك بعدم مقابلة شرهم بشر آخر ، بل نقابله بالخير ، لكي يأخذوا منا المحبة ونتشارك في الحياة الأبدية.

ويرى أوغسطين أنه لا يجب أن نكتفي بحب العدو ، وإنما علينا أن نسعى لجعل العدو بالحب صديق، في هذا يقول أوغسطين : كمال المحبة "أن تحبوا أعداءكم لدرجة أن يصيروا إخوة لكم"[2]، وعلى هذا فإن بلوغ الكمال يشترط حبنا للعدو كحبنا للأخ، فيكون الحب هو الوسيلة التي تحول مادة الكره والعداء إلى تآلف وصداقة.

ج) محبة الذات محبة صحيحة: إن محبة الذات محبة صحيحة تستلزم أن يكفر الإنسان بنفسه، هذا ما قاله أوغسطين على لسان متى المتشبع بأقوال المسيح "من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه، أجل، فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني"[3]، لكن السؤال الذي طرحه أوغسطين في هذا هو كيف يكفر بنفسه من يحبها ؟ يجيبنا أوغسطين بقول الله للإنسان "كل من يكفر بنفسه يحبها ومن يحب نفسه يهلكها ومن يكفر بنفسه يجدها"[4].

من هنا كان حب الذات حب صحيح يشترط بالدرجة الأولى حب الله ، لكي يجد الإنسان نفسه، ولكي لا يهلك ذاته في السماء، فكانت الدعوة قائمة على أساس حب الله

---

[1] أوغسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطينوس، مصدر سابق، ص 306.

[2] أوغسطينوس، عظات القديس أوغسطينوس على رسالة يوحنا الأولى، مصدر سابق، ص 24.

[3] نقلا عن: إنجيل متى، الاصحاح24، [16].

[4] أغوسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطينوس، المصدر السابق، ص125.

والكفر بالنفس، وعدم حبها في الأرض حتى لا يهلك الإنسان نفسه في السماء، انطلاقا من هذا تكون الذات متشبعة بالحب الإلهي الخالص ،مبتعدة عن شهوات الجسد وغرائز النفس.

ما يمكن استنتاجه مما سبق طرحه في أشكال الحب أن كل شكل إنما يعود أساسا إلى حب الله، فمثلا في حب الآخر وحب القريب وكذا حب الذات وحب العدو، نجدها ذات صلة وثيقة بحب الله، حيث لا يمكن أن نحب الآخر ولا يمكن أن نحب القريب إلا عند حبنا لله والعكس، أما فيما يخص حب الذات ، فإن حبها حب صحيح إنما يشترط حبنا لله وإتباعه ، والكفر بالنفس ودحض شهواتها، أما حب العالم كذلك له علاقة بحب الله ، لكنها علاقة طردية عكسية، فمن أحب العالم فقد ابتعد عن حب الله، ومن أحب الله فقد ترك كل ما له علاقة بالعالم، ويجوز حب العالم في حالة واحدة، وهي أن نحبه لأن الله صانعه وخالقه.

ثالثا: أهمية المحبة عند أوغسطين:

المحبة نور القلب ودستور الحياة ، وطريق الخلاص والعيش الخالد، فبالمحبة تتجدد النفس ويتطهر الإنسان من دنس الخطيئة وشهوات العالم ، ليتسامى ويثبت في حب الله، إذ أن المحبة التي نتقرب بها إلى الله و إلى القريب تنبع من كلام الله السامي والشامل ، والمعلم اليسوع الذي علمنا المحبة "كشف حجب كلام الله وأدركنا أسرار كتبه" [1]، فان لبسنا ثوب المحبة في أفعالنا وسلوكاتنا حفظنا ما خفي لنا من كلام الرب وما اتضح. فإذا ارتبطت المحبة بالفكر السليم والسلوك القويم استقامت النفس لتكون حصنا منيعا في الشدائد والمحن، فنصبر وقت الشدة، ونعتدل في الازدهار، بالمحبة تنتفي الشرور ويحل السلام يقول عنها أوغسطين: "إنها للأدب روح، وللنبوءة قوة، وللأسرار فاعلية، وللعلمأساس، وللإيمان ثمرة وللفقير غنى (...) إنها في الحزن سلام، وفي الغضب سكينة وفي الحق نشوة فرح"[2]، إذ أن المحبة تعلمنا الصبر ومجاهدة النفس والعفة ، وكظم الغيظ والثبات على الحق وحسن الظن،

---

[1] أوغسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطين، مصدر سابق، ص111.

[2] المصدر نفسه، ص111.

فنجد القديسين يتحملون المشاق والعذاب حبا في الله، ولا يكون هذا إلا من استوطنت محبة الله في قلبه، يقول أوغسطين: "إذا كان الله نور وليس فيه الظلمة البتة، وإننا لا بد أن يكون لنا شركة معه فان الظلمة تطرد من حياتنا" [1]، هنا أوغسطين يرى أن مسلك النور هو اعتراف الإنسان بخطاياه المرتبطة بحدود العالم الذي هو فيه، فقد تغريه ملهيات العالم ، لكن ما إن يتذكر التضحية التي قدمها يسوع المسيح وسفك دمه حتى يعود إلى نور المحبة التي نالها من الرب وابنه، ولعله يحتفل بعيد الفصح ميثاقا لعهد المحبة ، الذي وفى به اليسوع فنحب الله وابنه حتى يتشارك معهم في النور ، وبهذا تكمل محبة الله، كما أن من يحب أخاه فهو في النور ، أما من يبغضه فالظلمة قد أعمت عينه، يقول أوغسطين: "كمال المحبة أن تحبوا أعدائكم لدرجة أن يصيروا إخوة لكم، حبنا هذا لا يمكن أن يكون حبا بشريا جسدانيا"[2].

إن أوغسطين يرى أن اكتمال المحبة في قلوبنا مرتبط بعلاقتنا مع من نعتبرهم أعداء لنا، فسبق وأن قلنا أننا نبغض فيهم خطئهم لكن نحبهم لأنهم خلق الله، وإذا أردنا أن نقتدي بالمسيح الذي صلب من أجلنا وكفر الخطايا لكل العالم وليس للمسيحيين فحسب، فالأجدر بنا أن نتبع خطاه، ونحب أعداءنا، ونعمل أن يكونوا شركة معنا في النور ، فندعوا الرب لهم ونقدم القرابين، ونصلي لأجلهم، ونأخذ بيدهم حتى تستقيم حياتهم ونصير معهم جسدا واحدا بالمحبة فقط تنبض القلوب وتتطيب الأفواه وتتزن الأفعال، يقول أوغسطين: "أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" [3]، أي أن أوغسطين يوصينا على على ما جاء في لسان يوحنا تلميذ اليسوع ، بأن نحسن إلى من نعتبرهم أعداء لنا ونصلي وندعوا لهم، عندئذ تتحول مشاعر البغض والعداوة إلى محبة، وذاك هو البر الأعظم.

---

[1] أوغسطينوس، عظات على رسالة يوحنا الأولى، مصدر سابق، ص 18.

[2] المصدر نفسه، ص24.

[3] أوغسطينوس، في شرح الموعظة على الجبل، مصدر سابق، ص139.

خلاصة:

في الأخير نقول أن المحبة عند أوغسطين سمة إلهية لا تخضع لأي إكراه، فالإنسان حر ومريد، وخطيئة آدم ما هي إلا نقص في المحبة ونتاج محض للإرادة الحرة، ولكي يكتمل هذا النقص ويحيا الإنسان من جديد الأجد ر به أن يثبت في المحب ة، جاعلا منها سبيل السلام، فخروج الإنسان من ظلمة الخطيئة يستلزم في ذلك نور يفك ويزيح عنه هذه الظلمة، ألا وهو نور المحبة، وعندما نتكلم عن المحبة فنحن لا ننظر إليها من زاوية ضيقة، بل العكس من ذلك، أي أن المحبة المسيحية ليست محدودة، فإذا ما أراد الإنسان أن يثبت في الله ويتخلص من آثار الخطيئة الموروثة عليه أنه يحب الله والآخر، ويحب القريب والعدو، وأن يعرف كيف يحب العالم وكيف يحب ذاته بالطريقة الصحيحة، التي ترضي الرَّب، والتي تجعل من الإنسان يحي حياة أبدية بجوار الله.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: تجليات الحب عند القديس أوغسطين

تمهيد

المبحث الأول: تجليات الحب في السياسة عند أوغسطين

أولا: القانون عند القديس أوغسطين

ثانيا: مدينة الله ومدينة الأرض عند أوغسطين

ثالثا: المجتمع عند القديس أوغسطين

رابعا: العدالة عند أوغسطين

خامسا: الملكية عند أوغسطين

سادسا: الرق عند أوغسطين

سابعا: الحرب عند أوغسطين

المبحث الثاني: تجليات الحب في الأخلاق عند القديس أوغسطين

أولا: تجليات الحب في أخلاق المدينة السماوية (حب الخير، حب العدل، حب السلام، محبة السعادة).

ثانيا: تجليات الحب في أخلاق المدينة الأرضية (حب المجد والتسلط، حب الحرية، حب العظمة، حب المال).

المبحث الثالث: تجليات الحب في التاريخ عند القديس أوغسطين

أولا: بداية التاريخ عند أوغسطين

ثانيا: مسار التاريخ عند أوغسطين

ثالثا: محرك التاريخ عند أوغسطين

خلاصة

تمهيد:

يعتبر الحب عند القديس أوغسطين المحرك الصميمي للإرادة ، به نُقتاد إلى مكان راحتنا، لهذا جعل منه أساس كل شيء، كونه المحرك الأساسي للنفس الإنسانية ، وحابك أفعالها، فالقارئ لأفكار أوغسطين يجدها لا تخلو من عبارات رنانة عن الحب وفضله في هندسة حياة الإنسان، لهذا نجده يتغنى به في كل أفكاره ، السياسية والتاريخية وأيضا الأخلاقية، هذا ما سنتطرق إليه في فصلنا هذا، إذ أردنا أن يكون هذا الفصل بمثابة الكشف عن تموقع الحب في أفكار القديس أوغسطين، ولعل هذا ما سنعرضه من خلال تناولنا لأفكار أوغسطين السياسية والأخلاقية والتاريخية ، مبرزين تجليات الحب في كل جانب من هذه الجوانب.

من هنا نطرح السؤال التالي:

ما تجليات الحب عند القديس أوغسطين ؟.

المبحث الاول: تجليات الحب في السياسة عند أوغسطين:

نجاح سياسة أي دولة في نظر القديس أوغسطين مرهون بشرط أساسي، ألا وهو الحب، فبالحب يرتقي الإنسان من العالم الحسي إلى العالم السماوي، وبه تصلح حياة الإنسان إذا ما عاش في كنف المحبة، جاعلا منها الرابط الأسمى والأساسي بينه وبين باقي البشر.

أولا: القانون عند القديس أوغسطين:

يميز القديس أوغسطين بين نوعين من القانون، الأول القانون الأزلي أو القانون الطبيعي، والذي يمثل العدالة في صورتها الأسمى، والثاني القانون الزمني ، الذي أسسه البشر، والذي كان نتيجة حتمية للخطيئة الأصلية التي ارتكبها آدم وزوجته.

أ) **القانون الأزلي:** إن القانون الأزلي هو القانون الصادر عن الإله، أي أن الله هو مصدره، وهو قانون يرتكز أساسا على الحب، قانون أبدي ثابت ثبات الله لا يتغير بتغير الزمان والمكان، يلقب أيضا بالقانون الإلهي لأن الله مصدره، ويعرف عموما على أنه القانون "الذي بفضله تنظم كل الأشياء تنظيما كاملا، وتتوحد مع إرادة أو حكمة الله التي توجه كل الأشياء إلى غايتها الصحيحة" [1]،وبما أن القانون الأزلي هو قانون إلهي فإنه وبدون شك يمثل العدالة في صورتها الحقة، فإذا ما نظرنا لأساسيات هذا القانون فإننا نجده يقوم على قاعدتين أساسيتين هما "لا تعمل بالغير ما لا تريد للغير أن يفعل بك، يجب أن يأخذ كل ذي حق حقه" [2]، القاعدة الأولى أساسها الحب ، إذ تعني أحبَّ للغير ما تحبه لنفسك، والقاعدة

---

[1] ليو شتراوس: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديديس إلى إسبينوزا، تر : محمود سيد أحمد، ج 1، دط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص273.

[2] علي زيغور، مرجع سابق، ص230.

الثانية أساسها العدل، حيث تعني أعط الحق لصاحبه، فكان بهذا الحب والعدل طابع أساسي ميز القانون الإلهي.

ونجد أن القانون الأزلي إنما هو قانون الوجوب والإلزام، فب اعتبار أن الله هو خالق هذا العالم، وهو مسيّره وواضع قوانينه، فينبغي إذا على البشر أن يلتزموا بهذا القانون، ويؤدوا ما عليهم من واجبات، وذلك بإتباع ما أمر الله ، والانصراف عما نهى، ونجد أن هذا القانون إنما يؤثر على "خيار الناس دون أشرارهم، وهذا القانون الطبيعي هو مما لا يجوز خلقيا تعطيل أحكامه بتشريعات من صنع البشر. كما لا يجوز الحد من نطاق تطبيقه أو إلغاء نفاذ أحكامه"[1]،ويبقى هذا القانون قانون موحد وأبد ي بدوام مبادئه منظما للعادات والتقاليد على مر الزمن.

ب) القانون الزمني: يرى القديس أوغسطين أنه بعد معصية آدم لرّبه بالخطيئة فقد قدوسيته، فأصبح مزيجا من الخير الإلهي ، والذي يسير بمقتضى القانون الأزلي، وجانب شرير وجب ضبطه، فجاء نتيجة هذا القانون الوضعي الذي اقتصر دوره على تقويم هذا الجانب في الإنسان، ووفقا لهذا فإن القانون الزمني "أداة ضرورية للنظام في الدولة، وخدمة لسيطرة العدالة والسلم والفضيلة، دون أن يخدم الحاكم ويؤيد الظلم والقوة"[2]،ويشترط في الحاكم هنا أن يكون فاضل قادر على توجيه الآخرين إلى الفضيلة، حافظا لتعاليم العدالة ، ليكون قانونا عادلا، فالقانون الزمني مستمد من القانون الأزلي ، لذا يجب "أن يهدف إلى سيطرة العدالة، لا إلى خدمة الحاكم وتأييد الظلم"[3]،ورغم أن القانون الزمني يستمد من القانون الأزلي إلى أنه يختلف عنه ويناقض مبادئه، فالأول دائم والثاني مؤقت، الأول موحد لا يتغير، أما الثاني فهو متغير بتغير الأزمنة وبتغير المجتمعات ، لكن رغم هذا الاختلاف

---

[1] بن علي محمد، مرجع سابق، ص68.

[2] المرجع نفسه، ص69.

[3] علي زيغور، مرجع سابق، ص232.

يرى أوغسطين أن القانون الزمني إذا أخذ بتعاليم القانون الأزلي فإنه يحقق العدالة التي أرادها الرَّب لعباده.

إن القانون الزمني ورغم أنه مستمد من القانون الإلهي إلى أنه هو الذي ميز مدينة عن أخرى، الأولى واضحة المعالم، مدينة تعيش في ظل القانون الإلهي ، وهي مدينة الله، لكن بعد الخطيئة تغير القانون عندما أصبح الإنسان فارغ من المواهب الإلهية، فظهر قانون آخر تشكلت بموجبه مدينة أخرى غير المدينة الأولى، وهي مدينة الأرض.

ثانيا: مدينة الله ومدينة الأرض عند أوغسطين:

إن السياسة عند القديس أوغسطين ترتكز أساسا على التمييز بين مدينتين، وهما « مدينة الأرض ومدينة الله »، ونجد أن أصل هذين المدينتين يعود إلى الحب، حيث بنيا هذين الإثنين على أساس نوعين من الحب، يقول القديس أوغسطين: "حبين صنعا المدينتين حب الذات لحد احتقار الله صنع المدينة الأرضية، وحب الله لحد احتقار الذات صنع المدينة السّماوية. إن المدينة الأولى تتمجد في ذاتها، أما الثانية فتتمجد في الرَّبْ، الأولى تبحث عن مجد آت من البشر، أما الثانية فإن الله الشاهد على الضمير هو مجدها الأكبر" [1]، وعلى هذا فالمدينة الأولى مدينة مبنية على حب الذات لدرجة الاستخفاف بالله، بينما المدينة الثانية فهي مبنية على حب الله لدرجة احتقار الذات، الأولى أسسها الابن الشرير الحاقد والحاسد قايين، حيث يقول القديس أوغسطين: "أول مؤسس لمدينة الأرض هو قاتل أخيه؛ لقد وقع ضحيّة الحسد فقتل أخاه مواطن المدينـــة السّماوية" [2].

ولقد كان قتل قايين لأخيه هابيل ثاني خطية عرفها التاريخ بعد خطيئة آدم، وأول جريمة قتل تحدث على الأرض، فكان بجرمه هذا مؤسسا للمدينة الأرضية ، التي ترسخ فيها

---

[1] أنظر : lancelserge.saintaugustin.arthénofoyard,paris, 1999 , p 552.

[2] أوغسطينوس، مدينة الله، ج 2، مصدر سابق، ص221.

حب الذات وإنكار الله، والتي وصفت على أنها مدينة للشر والشيطان، مدينة للظلم والأشرار، مدينة الكفرة المخالفين للشريعة الالهية، فلقد قيل بأن المدينة الأرضية هي المدينة التي يرشدها ويوجهها حب الذات، والتي تعيش وفقا لما يسميه الكتاب المقدس بشهوات الجسد "[1]، والمقصود بشهوات الجسد هو انصراف الإنسان نحو تحقيق أفعاله بما تحويه من ملذات ورغبات، منغمسا في الرذائل، غير مهتم إلى الطريقة التي يسلكها في ذلك، غير خاضع لقانون الله وشريعته، ولقد لقب أوغسطين هذه المدينة بالمياه المرة، أما الثانية فلقد أسسها الابن البار والإنسان الخيّر هابيل المحب لله وأخيه، ومدينة الله "ليست سوى مجموعة أتباع المسيح والعابدين للإله الحقيقي. إنها تتكون من أناس إلهيين، وقد توصف حياتها كلها بأنها حياة الإذعان الورع لعالم الله" [2]، فمدينة الله مدينة خيّرة متشبعة بحب الإله، مدينة تضم أولائك الذين تطهرت نفوسهم من الخطيئة ، وتخلصت أرواحهم من الشر، إنهم شعب الله المختار، شعب اختاره الله بعنايته الإلهية ليكون في مملكته خليفة له، يقول القديس أوغسطين: "طوبى للشعب الذي إلهه الرّب، طوبى لذلك الشعب الواحد، السالك في الطريق السماوية، الذي اختار الرّب إلها له. طوبى للشعب الذي اختاره الله له ميراثاً، هذا الشعب لم يختر نفسه، بل الله اختاره في رحمته، حتى إذا صار له ورعاه، يجعله بمنأى عن كل بؤس"[3]، ولقد رمز القديس أوغسطين لهذه المدينة بأورشليم والتي تعني مدينة السلام.

لقد حُددت هذين المدينتين وفقا لحبين مختلفين متناقضين، انقسمت بمقتضاهما الإنسانية، حب الذات، والذي تولد عنه مدينة الأرض، أي مدينة البشر الذين اختاروا العيش في كنف الرغبات الجسدية، والذين يحبون كل شيء من أجل أنفسهم، والأخرى مدينة الله ، مدينة البشر الذين اختاروا العيش وفقا لمتطلبات الروح، والذين يحبون كل شيء لأجل الله، وبهذا هما مدينتين تعيشان جنبا إلى جنب ، قائمتان على مبادئ متناقضة، الأولى مدينة

---

[1] ليو شتراوس، مرجع سابق، ص288.

[2] المرجع نفسه، ص288.

[3] أوغسطينوس: عظات في المزامير، تر: سعد الله سميح جحا، ج 1، ط 1، دار الشرق، بيروت، لبنان، 2013، ص393.

ناقصة غير كاملة وبهذا هي مدينة زائلة، ومدينة بحب الله كاملة وهي بهذا أبدية، الأولى تمثلها الإمبراطوريات الوثنية، والثانية تمثلها الكنيسة، هذا ما رآه قديسنا إذ "تخيل أوغسطين مملكة الشر في صورة الإمبراطوريات الوثنية وإن لم يقل بتطابقهما، كما فكر في الكنيسة باعتبارها ممثلة لمدينة الله بالرغم من أن هذه الأخيرة لا يمكن أن تطابق المنظمات الكنسية مطابقة تامة"[1]، لهذا اعتبر أوغسطين ظهور الكنيسة بداية الصراع بين قوى الخير وقوى الشر، والنقطة الأولى لخلاص الإنسان، حيث أصبح خلاص الإنسان من مدينة الشر مرتبط أساسا بالكنيسة ومصالحها، من هنا نشأ الصراع بين الإمبراطورية وبين الكنيسة، وفي ظل هذا الصراع رأى البعض بضرورة خضوع الإمبراطورية للكنيسة، باعتبار أن الأولى تمثل مدينة الأرض والثانية تمثل مدينة الله.

إن ما جاء به أوغسطين حول مدينة الله ومدينة الأرض هو محاولة للدفاع عن المسيحية، ضد الاتهامات الباطلة التي وجهها إليها الرومان، بعد أن سقطت دولتهم على يد القوطيون، وهذا ما لم يتوقعه حتى المتشائمين، فاعتقدوا أن نهب المدينة وسقوطها على يد القوط سببه إنما هو عقاب إلهي لترك الرومانيين الدين الروماني القديم ، واعتناقهم المسيحية، فجاء رد أوغسطين في نظريته المدينتين ليخاطب الرومانيين قائلا أن تخريب البرابرة لدولتهم لم يفقدهم أي شيء أساسي بالنسبة لحياتهم ، كون أن الخلاص يرتكز في مدينة الخير والكمال « مدينة الله »، لا مدينة الشيطان « مدينة الأرض »، لقد دافع عن المسيحية معيدا سبب الضعف السياسي في روما إلى عدة أوهام وهي:

[1] جورج سباين: تطور الفكر السياسي، تر: حسن جلال العروسي، د ط، دون دار، د م، د س، ص90.

1) **أوهام الوثنية:** تحدث أوغسطين في هذا عن البدع التي صاحبت الوثنية الرومانية، التي عقدت أكثر المشكلة الأخلاقية، والتي أدت إلى بطلان دينهم وحلول العقاب الإلهي على سكان دولتهم، بعد انهزام آلهتهم أمام المسيحية، يقول القديس أوغسطين: "تأملوا الآلهة الذين فاخر الرومان بهم حرّاسا لمدينة روما. يا لفداحة الخطأ الذي يستدعي الشفقة! يقاومونا عندما نتكلم بهذا الشكل عن آلهتهم، ويقبلون بأقوال شعرائهم؛ بل ينفقون المال حفظا لأشعارهم"[1].

2) **أوهام الآلهة التي تدافع عن البلد وتحميه:** ينتقد أوغسطين في هذا الوثنيين، عباد الأصنام والتماثيل، مستغربا متسائلا: كيف نسلم المدينة ومسؤولية حمايتها لآلهة تعجز حتى عن حماية نفسها ؟، يقول القديس أوغسطين: "هل من الفطنة تسليم مدينة روما إلى أولائك الآلهة المهزومين ليؤمنوا لها النصر ؟"[2].

3) **أوهام حب الشيطان والتعلق بمدينته:** ويقصد بها حب المدينة الأرضية والتعلق بها، والذي أدى إلى الانغماس في الرذائل ، والدخول في حروب دامية، ولقد نتج عن هذا الحب والتعلق حب المال وانتشار الفضائح والبخل وغيرها من الأعمال المنافية لتعاليم الدين المسيحي، يقول القديس أوغسطين في تعديده لأسباب سقوط روما "يستطيع الإنسان أن يطالع في صفحات خطها سلّستس بسرعة كيف أن روما انتقلت من الازدهار إلى حروب داخلية على دروب الفوضى والاضطرابات: منذ ذلك، حينما لم تعد التقاليد القديمة تسير، شيئا فشيئا، بل راحت تطغى كالنهر الطامي، طغى الترف والبخل على قلوب الشبيبة حتى استحال عليهم الحفاظ على تراثهم في نفوسهم"[3].

---

[1] أغسطينس، مدينة الله، ج1، مصدر سابق، ص12.

[2] المصدر نفسه، ص13.

[3] المصدر نفسه، ص86.

بهذا بين القديس أوغسطين أن سبب الحروب و سبب فشل وانهزام روما ، إنما يعود أساسا إلى الابتعاد عن الله، وهذا ما ولده الترف الذي جعل من أفراد روما يتنكرون لأصلهم الأخلاقي وينغمسون في شهوات المال، حيث أصبح جمع المال يستقطب جل اهتمامهم، غير مهتمين للطريقة المتبعة في تحصيل المال، وكتحصيل حاصل للترف "شهدت روما ظهور البغايا كظاهرة جديدة حيث دخلت المغنيات إلى المجتمع الروماني وأدخلت معهن كل أنواع المجون والفجور أمام الملأ" [1]، فاستنكروا للرّب بأفعالهم، وانصرفوا عن حبه إلى حب الشيطان ومدينته، فكان رد الله أن ابتلاهم بالضعف وكل ما هو شر لهم ، كعقاب عن خطيئتهم.

ثالثا: المجتمع عند القديس أوغسطين:

إن الإنسان عند القديس أوغسطين إنما هو كائن مقدس ، إذ خُلق على صورة الله، وبالتالي هو متعالي ومترفع عن مدينة الأرض وملذات العالم الحسي، مرتقي بذلك إلى مدينة الله أين يلاقي ربّه، على هذا هو كائن أخلاقي يسعى إلى العيش في إطار الصداقة والحب والأخوة، هادفا بذلك إلى تحقيق الاجتماع الذي به تتحدد إنسانية الإنسان.

ونجد أن القديس أوغسطين يرى أن الله عندما خلق البشر خلقهم على أساس أن يصير جميعهم أبناء لمدينة الله، لكن بسبب الخطيئة التي ارتكبها آدم نزل الإنسان من السماء إلى الأرض، لكن الله برحمته رخص للإنسان إمكانية دخول مدينته شرط أن يحبوه ويطيعوه، وإذا ما حدث ذلك فإن هذا يؤدي بالضرورة إلى نشوء مجتمع محب لله، "ومن الملاحظ أن أوغسطين عندما تحدث عن دولة اله إنّما كان يقصد مجتمع الكنيسة" [2] الذين أنعم الله عنهم برحمته واختارهم ليكونوا في مدينته ممثلين له على الأرض، فالكنيسة هي

---

[1] مزواد نسيبة: فلسفة الحضارة في فكر القديس أوغسطين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، 2011-2012، ص58.

[2] محمود سعيد عمران: النظم السياسية عبر العصور، ط 1، النهضة العربية، لبنان، 1999، ص174.

الجماعة البشرية التي تعمل على تشييد مدينة الرّب، مستعملة في ذلك وسائل المدينة الأرضية، بغية تحقيق غاية إلهية، والتي تتمثل في تحقيق الفضيلة، لكن نجد القديس أوغسطين "في مواضع شتى من كتابه مدينة الله قد أشار إلى أن بعض الأفراد الذين ينتمون إلى الكنيسة لا ينتمون لمدينة الله لأن الله لم ينعم عليهم برحمته. ولعله يقصد بهؤلاء بعض المسيحيين الذين اعتنقوا مذاهب أخرى"[1].

إن تاريخ الإنسانية حسب أوغسطين صراع إزدواجية مدينة الله ومدينة الأرض، السعادة والشقاء، الخير والشر، لكن رغم هذه الفوارق أكد أوغسطين على الوحدة الإنسانية القائمة على حاجة الإنسان لبني جنسه، "إلا أن أوغسطين لم يستخدم مصطلح الاحتياج الذي درج على استخدامه فلاسفة المجتمع إنما استخدم مصطلح آخر أكثر دقة وأكثر تعبيرا عن فكره ألا وهو مصطلح الحب" [2]،والذي اعتبره القوة المحركة للنفس الإنسانية ومهندس أفعالها، فالحب هو الذي يحرك الإنسان ويدفعه للحصول على ما يريد، فقد يطلب أمورا رغبة فيها لذاتها، وربما يستعين بها لتحقيق أمور أخرى أسمى وأرفع من الأولى، لقد جعل أوغسطين بهذا الحب أساس الوحدة البشرية، إذ به وعن طريقه تنتشر الروابط الودية بين بني البشر، "فالمجتمع ليس مجرد اجتماع آلي للأفراد والجماعات، ولكنه اشتراك في الفكر والعاطفة فالشعب هو تجمع العديد من الكائنات الرشيدة، متحدين في الأخوة نتيجة حب مشترك لنفس الأشياء" [3]، على هذا فإن الحب هو ذلك الرابط الودي الذي يربط بين شعب المجتمع الواحد، والذين تجمع بينهم محبة مشتركة لنفس الأشياء، ونجد أن القديس أوغسطين يعرّف "عن طريق الاقتباس من شيشرون باستحسان، المجتمع المدني أو الدولة بأنه

---

[1] محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص174.

[2] زينب محمود الخضري، مرجع سابق، ص144.

[3] بن علي محمد: سؤال الإنسان في الفكر العربي الإسلامي والليبرالي الغربي دراسة فلسفية في المفهوم والحقوق، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الفلسفة، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة وهران –السنايا، 2012–2013، ص64.

مجمـوعة من الناس يربطـها تسليم عـام بالحق ومجمـوعة مصالح"[1]،ولهذا التعريف بعد جد عظيم، فالدولة وفقا لهذا التعريف هي مجموعة من الناس ، تؤلف بينهم مصالح مشتركة، هذا عندما نتكلم عن الرابط الثاني الذي يجمع الناس « مجموعة مصالح »، أما الرابط الأول « تسليم عام بالحق » فلقد قصد بالحق هنا « العدل » وهذا ما سنتطرق إليه عند عرضنا لعنصر العدالة.

ثالثا: العدالة عند أوغسطين:

يعتبر العدل عند القديس أوغسطين حجر الأساس لكل دولة، فلا يمكن لأي دولة أن تزدهر في غياب القانون، ولا يمكن لأي دولة أن يجري فيها قانون دون وجود عدل، فما لم تطبق العدالة فإن الحقوق ضائعة، والمقصود بالعدل هنا "إتباع نظام معين يطبق على الجميع"[2]،ونجد أن القديس أوغسطين جاء بلفظة حق ليعبر عن العدالة كما قلنا سابقا في تعريفنا للدولة، وإنه هنا يقصد العدالة الحقيقية بما تحمله من مضامين، عدالة نجدها في سلطة الله لا سلطة البشر، وفي الحديث عن السلطة، نجد أن القديس أوغسطين يرى "أن الله هو الحاكم الأعلى في الدولة، وهو مالك جميع السلطات، ومنظم كافة الإمبراطوريات والممالك، وهو الذي يوحي بالقوانين وهو أيضا مصدر العدالة" [3]،ومعنى هذا أن أي سلطة هي على الأرض إنما هي بأمر من الله، وهي بهذا تفويض إلهي لممارسة السلطة، ويكون ذلك إما بوراثتها وإما عن طريق اختيار الشعب، وبما أن الحاكم مفوض من الله فمن "واجب الحاكم الدنيوي والقاضي والمشرع والجندي مراعاة ذلك وعليهم أن يدركوا أن الله صاحب

---

[1] ليو شتراوس، مرجع سابق، ص269.

[2] محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص174.

[3] المرجع نفسه، ص 178.

السلطان قد فوضهم في بعض جوانب سلطانه. ومن ثم على هؤلاء مراعاة العدالة وعدم سوء استخدام مناصبهم"[1].

ما يتبين لنا من هذا هو أن هناك سلطة سماوية تعلوا ع لى السلطة الأرضية في نظر أوغسطين، وأن هذه الأخيرة إنما هي مستمدة من السلطة السماوية ، والتي من شأنها أن تراقب أخلاقيات وتصرفات وسلوكيات الحكام، ومن هنا كانت "السلطة السماوي ـة خ ـالدة، وليس لأي هيئـة أن تم ـارس أي جانـب من هذه السلطـة علـى الأرض"[2]على حد تفسير البروتستنت لأفكار القديس أوغسطين، ومعناه أن السلطة السماوية سلطة متعالية على السلطة الأرضية، وبالتالي لا يمكن لأي جهة ولا يمكن لأي هيئة أن تمارس هذه السلطة على الأرض، كون أن السلطة يجب أن تضع نصب عينيها العدالة الحقة، وهذه الأخيرة لا توجد إلا عند الله، أي في سلطة الله ، وبهذا فان العدالة ليست بيد الإنسان الذي وقع في الخطيئة، وإنما هي من الله.

رابعا: الملكية عند أوغسطين:

يرى القديس أوغسطين أنه "من الشرعي تماما أن يكون للإنسان ملكية خاصة، لأن المشكلة ليست في التملك وإنما في طريقة التملك. بتعبير آخر أولئك الذين يجمعون المال والخيرات والنعم بجشع وتكالب ليتمتعوا بها وحدهم، يجهلون أن الله مالك كل شيء، وبيده الأرزاق، ومالك كل شيء" [3]، وعلى هذا فإن القديس أوغسطين لم يقل بإلغاء الملكية ، إنما قبلها في إطار مشروع، حيث جعل مشروعيتها مرتبطة بالاستخدام الحسن للملكية، أما في حال استعملنا ملكيتنا في الأمور السيئة فإنها تكون بهذا شريرة، وإذا ما كانت شريرة فهذا

---

[1] محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 178.

[2] المرجع نفسه، ص 179.

[3] علي زيغور، مرجع سابق، ص237.

يعني أنها خارجة عن ملكيتنا، ويعود عدم إلغاء القديس أوغسطين للملكية الفردية إلى إرجاعه حق الملكية لله، فهو المالك الوحيد، وهو الذي أنعم على عباده بهذا الحق، لذا لا يمكن "تحديد مشروعيتها عن طريق القانون الوضعي لأنها ترجع إلى الإلهي الأبدي المقدس"[1]،ولقد اعتبر أوغسطين "الملكية الفردية (...) حق طبيعي لكن ذلك لا يعني أنها حق ضروري، إنها جزء من الحق الإنساني وهي بذلك تخضع لإرادة الدولة التي تستطيع إلغاءها أو تحديدها"[2]،فكانت بهذا الملكية في نظره ليست من الضروريات وإنما هي من الكماليات، وهي بهذا واقعة تحت حكم الدولة ، فهي من تستطيع أن تبقي عليها وهي من تستطيع إلغاءها، ونجد القديس أوغسطين يميز بين الملكية والتملك "من حيث أن التملك يكون بأساليب جشعة تصل إلى حد السرقة والاغتصاب والاستلاء على الممتلكات والتي تقود إلى الحروب والانقلاب على الأنظمة الاقتصادية السائدة، أما الملكية فهي الحيازة المشروعة للأملاك"[3]،ومن هنا فإن المشكل ليس في الملكية وإنما في التملك حسب القديس أوغسطين، كون أن الأول يكتسب بطرق غير شرعية تسيء للآخرين وتسيء للصالح العام، وبالتالي كل ما يكتسب عن طريق التملك فهو شرير، أما الملكية فهي مشروعة مادامت تستخدم بالشكل الصحيح والحسن.

خامسا: الرق عند أوغسطين:

يعتبر الرق عند القديس أوغسطين نظام آخر ولدته الخطيئة الأصلية، فالله عاقب به الإنسان بعد أن تمرد على سلطانه وقانون مدينته، وبالتالي فهو عقاب عادل ، كون أن الرق ما هو إلا انعكاس للخطيئة الأولى، لكن قول أوغسطين بالرق لم يمنعه "من التأكيد على العدالة في المجتمع والأخوة في المسيح ولا ينزع عن الرق إنسانيتهم إذ يجب أن يعاملوا بكل

---

[1] أنظر: عبد الله عبد الرحمان: تطور الفكر الاجتماعي، د ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص113.

[2] علي زيغور، مرجع سابق، ص238.

[3] مزواد نسيبة، مرجع سابق، ص73.

احترام وتقدير وأن لا يغتربوا عن طبيعتهم البشرية ويحولوا إلى آلة هذا ما دعا له السيد المسيح، فكما شرع نظام الرق نص على وجوب المساواة بينهم من جهة وبين الرق وملاكهم من جهة أخرى"[1]،ومن هنا فإن القديس أوغسطين قَبِل الرق وقال بمشروعيته كون أن هذا الأخير هو عقاب إلهي عاقب به الإنسان عن خطيئته الأولى، وما هو إلا عقاب عادل، فلا يصدر من العادل إلا العدل، وفي نفس وقت قبوله بالرق دعا إلى ضرورة المساواة بين أفراد المجتمع، بغية الحفاظ على إنسانية الإنسان.

سادسا: الحرب عند أوغسطين:

لقد شرع القديس أوغسطين الحرب حيث رأى فيها ذلك الطريق الذي يوصل الإنسانية إلى السلم، لقد شرع الحرب في حالة الدفاع عن النفس وردع ظلم الأشرار بالقتال ليكفوا عن شرهم، فلتطبيق "القوانين وتأمين استمراريتها وحفظ النظام بشكل مقبول، لابد من الردع والمجازات، كما أن للمجتمع المعتدى عليه الحق والواجب في الدفاع عن نفسه، وقتال الأشرار"[2]،ومقاتلة الأشرار هنا في نظر القديس أوغسطين ليس رغبة في القتل وإراقة الدماء، وإنما عملا في الدفاع عن الحق ومحاربة الشر ، للوصول إلى السلم والذي هو غاية الجميع، ويشترط القديس أوغسطين في مشروعية الحرب الطابع الإنساني، حيث هدفها نشر السلام لا التدمير والتخريب.

لقد "شرع القديس أوغسطين للحرب وفرض معها وجوب الطاعة، طاعة الجندي للأوامر حتى وإن كانت القتل، لأن الجندي الذي يقاتل ليس بقاتل" [3]،بمعنى أن الجندي هنا إنّما هو مجبر على تطبيق أوامر الحاكم بما في ذلك القتل، وهو في هذه الحالة كما قلنا ليس بقاتل أي أنه لم يرتكب خطيئة قتل إنسان خلقه الرّب، هو ملزم بتطبيق الأوامر حتى لو

---

[1] مزواد نسيبة، مرجع سابق، ص74.

[2] علي زيغور، مرجع سابق، ص233.

[3] المرجع السابق، ص75.

رأى أن في فعله هذا ظلم، فالحاكم هو الذي يتحمل مسؤولية ذلك ، كونه هو الذي أمر بالقتل، وفي حالة مخالفة الأوامر وعدم الأخذ بها ، فإن الجندي يعاقب لوقوعه في خطيئة العصيان والتمرد.

ما يتضح لنا من خلال عرضنا لما سبق هو أن للحب تجلياته في أفكار أوغسطين السياسية، فلو نظرنا إلى التقسيم الذي قدمه أوغسطين للمدينة « مدينة الله، مدينة الأرض » لوجدنا أن الحب فيها ظاهر، فالمدينة الأولى مدينة أهلها متشبع بحب الرّب لحد امتهان الذات، والمدينة الثانية أهلها غارق في حب الذات لحد امتهان الله، على هذا نلمس شكلين للحب ألا وهما « حب الله في المدينة الأولى، وحب الذات في المدينة الثانية ».

وإذا ما نظرنا إلى التصور الذي قدمه لنا القديس أوغسطين عن المجتمع المدني وعن الشعب، فإننا نلمس بذور الحب فيه، حيث جعل من الحب الرابط الأساسي الذي يجمع ويؤلف بين الإنسان وأخيه الإنسان، جاعلا منه علة الحياة الاجتماعية، كونه المحرك الأول والأساسي للنفس الإنسانية، وفي هذا نلمس شكل آخر من أشكال الحب ألا وهو « حب الأخ لأخيه »، كذلك هو الحال في العدالة، إذ أن تحقيق العدل يشترط بالضرورة الحب، حيث لا يمكن للعدل أن يكون إلا إذا أحب الإنسان الخير للآخر، وهذا ما سنعرفه في عرضنا لما هو قادم.

كذلك تعتبر الحروب في نظره إنما سببها هو نقص في المحبة، إن لم نقل غيابها، فنتيجة نقص أو زوال هذه الأخيرة فقد الإنسان الأمن والسلام في حياته، فعاد أوغسطين وشرع الحرب التي تهدف إلى محاربة الشر وإعادة السلم للحياة، والذي به تسترجع المحبة بين بني الانسان.

المبحث الثاني: تجليات الحب في الأخلاق عند القديس أوغسطين

من خلال ما تعرفنا عليه سابقا حول مدينة الله ومدينة الأرض، فإننا لاحظنا الاختلاف بين مبادئ هذين الاثنين، فلكل مدينة منهما نوع حب يطبعها، الأولى حب الله والثانية حب الذات، نتيجة لهذا تباينت الأخلاق بينهما، فتولد عن هذين النوعين من الحب أشكال أخرى للحب في إطار أخلاقي يخص كل مدينة على حدى، هذا ما سنتطرق إليه في عرضنا لمحتويات هذا المبحث.

أولا: تجليات الحب في أخلاق المدينة السماوية:

إن المدينة السماوية لها طابعها الأخلاقي الخاص بها، والذي ميزها عن المدينة الأرضية، ونظرا إلى أن هذين المدينتين قد تأسسا على حبين منفصلين متناقضين، كان لزاما أن يكون الحب في المدينة السماوية يحاكي الطابع الأخلاقي فيها، نتيجة لهذا ظهرت عدة أشكال للحب تعكس لنا الطابع الأخلاقي العام الذي يسود هذه المدينة، وتجليات الحب في المدينة السماوية حسب أوغسطين كالتالي:

أ) حب الخير: يؤمن القديس أوغسطين بفكرة أن الله قد خلق الإنسان خيرا لا شريرا، ومن هنا كان مصدر الخير في نظره هو الله حيث يقول: "وفي الواقع لقد خلق الله الإنسان سليما، مستقيما، لأنه خالق الطبيعة من دون الألم" [1]، ونظرا لهذه الطبيعة الخيّرة التي فطر عليها الإنسان فقد كان حب الخير شيء متجذر فيه قبل الخطيئة الأصلية، والتي نعني بها خطيئة آدم، التي أدخلت الشر في النفس الإنسانية بعد السقوط من مدينة الله إلى مدينة الأرض، إلى أن الله برحمته الواسعة أعطى فرصة جديدة للإنسان لدخول مدينته بعد خطيئته، لكن شرط أن يعملوا بمقتضى شريعته، وشريعة الرّب إنما تدعوا إلى حب الخير للآخرين، وحب الخير للآخرين يكون بحب الإنسان لأخيه الإنسان والابتعاد عن البغض، هذا ما دعت إليه

[1] أوغسطينوس، مدينة الله ج 2، مصدر سابق، ص 126.

المسيحية حيث يقول القديس أوغسطين: "أعطانا يسوع وصية جديدة بأن نحب بعضنا بعضا كما أحبّنا"[1]،فبالحب يسعى الإنسان إلى الخير ويبتعد عن الشر، وبهذا يعمل خيرا، يقول القديس أوغسطين: "أحب ولن يسعك إلا أن تعمل الخير"[2]،ومن أشكال حب الخير للآخرين عند القديس أوغسطين وعظهم في حال ما إذا إبتعدوا عن الحق وانصرفوا إلى الخطأ، هذا ما بينه في حديثه عن الفرق بين من يبغض وبين من يحب ، حيث يقول: "أنا لا أعرف إنسان يضمر البغض لعدوه ويتظاهر له بالمودّة، يراه يعمل شرا فيثني عليه؛ يريده أن يسير إلى الهلاك ويسير أعمى في مزالق شهواته من حيث لا يعود. يمتدحه ويغمره بسبيل اللطف الكاذب: إنه يكرهه ويمتدحه. أنت ترى صديقك ينهج النهج عينه فتنصحه؛ وإن لم يسمع منك توبخه؛ وإليه تتوسل ثم تعاديه وغالبا ما تشعر بضرورة محاربته"[3]،ومن هذا يتبين لنا أن وعظ الآخرين ونصحهم إنما يهدف إلى الإصلاح وهذا ما يحدث خيرا.

ومن أشكال حب الخير للآخرين أيضا نجد التسامح، فالمسيحية "تقول بعدم مقاومة الشر، وبعرض الخد الأيمن للصفع بعد الأيسر"[4]،فبالتسامح يُشفي باطن الشرير من شره ، مما يغيره ويجعله إنسانا طيبا وخيرا، وفي هذا إصلاح للآخرين أيضا ، وبالتالي هو عملٌ خيّر، والإصلاح من الغير هنا إنما يأخذ شكلا من أشكال محبة الخير للآخرين، لذا نجد أن القديس أوغسطين يركز على الإصلاح ويدعوا إليه حيث يقول: "اضرم محبة الإصلاح حبا بالخلاص، ليبتهج بها ذو الأخـــلاق الحسن ـة وليرضخ لها سيء الأخـــلاق ابتغـاء

---

[1] أوغسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطين، مصدر سابق، ص 128.

[2] المصدر نفسه، ص129.

[3] المصدر نفسه، ص130.

[4] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 50.

للإصلاح فالخلاص"[1]،فمادام حب الخير للآخرين يرمي إلى الإصلاح فهذا عمل مطلوب عند الرّب يؤهل أصحابه العيش في كنف مدينه الله.

ب) حب العدل: إن الرّب رحيم وعادل، وهو ثابت في عدله لا يأخذ بالوجوه، ويظهر لنا عدله في غفران الخطايا وفداء البشرية من أجل خلاصهم، وهو عادل في حكمه وكل ما يصدر عنه، ونجد أن العدل صفة إنسانية أمر الله بها بني الإنسان ، ليكونوا مشابهين له في عدله، ويكونون بهذا أعضاء في مدينته، بهذا كان حب العدل شرطا لزاما في دخول مملكة الرّب، ونجد أن العدل في معناه الواسع يعني الإنصاف، أي إعطاء الآخرين حقوقهم، وهذا ما دعا إليه القديس أوغسطين في قوله: "خط القياس وأعط كل ذي حق حقه، ولا تضع تحت ما هو فوق"[2]،ونجد أن العدل إنما هو مرتبط بالمحبة، فإذا ما كانت هذه الأخيرة جلية فإن الظلم بهذا يختفي، لأن المحبة تنفي الظلم وتنصر الحق، يقول القديس أوغسطين في تغنيه بالمحبة: "المحبة تتأنى وترفق. المحبة لا تحسد ولا تتباهى ولا تنتفخ ولا تأتي قباحة ولا تلتمس ما هو لها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق"[3].

ولقد أثنى القديس أوغسطين على حب العدل لما له من ارتباط وثيق بالسلام، فبالعدل يجد السلام لنفسه مستقرا بين أفراد المجتمع، يقول القديس أوغسطين في حديثه عن العدل والسلام: "أحبَّ العدل أيضا لأن العدل والسلام صديقان يتعانقان"[4]،كما أن العدل في نظره إنما هو أحد المسالك التي يسلكها الإنسان للوصول إلى السعادة، والتي هي غاية كل البشر، الأخيار منهم والأشرار، هذا ما سنتطرق إليه لاحقا عند تناول كل من حب السلام وحب السعادة.

---

[1] أوغسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطين، مصدر سابق، ص130.

[2] المصدر نفسه، ص118.

[3] المصدر نفسه، ص ص112-111.

[4] المصدر نفسه، ص194.

ج) حب السلام: إن السلام في معناه يناقض الصراع والحرب، هذه الثانية هي من مميزات المدينة الأرضية كما قال القديس أوغسطين، أما السلام فهو الطابع الذي تتصف به المدينة السماوية، لذا كان من الضروري على أولئك المتطلعين لمدينة الرّب الراغبين في أن يصبحوا أبناءا لله أن يحبوا السلام ويعملوا بمقتضاه وفقا لشريعة الإله، يقول القديس أوغسطين "الكمال في السلام حيث كل شيء مقبول؛ ولذا فإن فاعلي السلامة هم أبناء الله؛ إذ لا شيء يخالف الله؛ وعلى الأولاد أن يتشبهوا بأبيهم"[1]، ويرى القديس أوغسطين أن هؤلاء فاعلي السلامة هم في نفوسهم أولئك الذين استطاعوا كبح جماح النفس ورغبات الجسد، حيث أخضعوا ميولاتهم النفسية لحكم العقل والروح فتمكنوا بهذا من كبحها، حيث يقول:

"فاعلو السلامة في نفوسهم هم الذين يسيطرون على جميع ميولهم النفسية، ويخضعونها للعقل أي للفكر والروح، وقد كبحوا جماح شهواتهم اللحمية وصاروا ملكوت الله"[2].

يرى القديس أوغسطين أن الله يمنح السلام لذوي الإرادة الصالحة، وبالتالي ليعيش الإنسان في حيز السلام الربّاني يلزمه في ذلك عدة شروط، والتي منها حب البرّ، أي عمل الخير والابتعاد عن الشر، يقول القديس أوغسطين في هذا: "إن لم تحب البرّ فلن يكون لك السلام، لأن البرّ والسلام يتحابّان ويتعانقان؛ حتى إنك إذا أتممت البر وجدت السلام يعانقه"[3]، فالسلام يلزم إذا حب الخير والصلاح، فوجود الثاني يمهد لوجود الأول، وقلنا يمهد لأن حب البرّ أي الخير ليس الشرط الوحيد الذي يتوقف عليه السلام، وإنما هناك شروط أخرى منها حب العدل كما قلنا سابقا، فهذا الأخير يعتبر خطوة ثانية للوصول إلى السلام الذي يبتغيه الجميع الخيريّن وغيرهم، فحب السلام يشترط بالضرورة حب العدل، حيث يقول القديس أوغسطين: "وأحبّ العدل أيضا لأن السلام والعدل صديقان يتعانقان، إن لم تحب

---

[1] أوغسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطين، مصدر سابق، ص 293.

[2] المصدر نفسه، ص294.

[3] المصدر نفسه، ص294.

صديق السلام فلا يحبك السلام عينه ولا يأتي إليك" [1]،وأيضا من بين المرتبطين بحب السلام نجد حب الإنسان لأخيه الإنسان، إنه ذلك الحب الذي يصل إلى درجة التضحية بالنفس في سبيل الأخوة، يقول القديس أوغسطين: "أحبَّ أخاك إن أحببت السلام؛ لأن من يحب أخاه يتحمل أخاه؛ ويتحمل كل شيء في سبيل الوحدة، ليكن حبّك لأخيك بأن تبذل نفسك عنه"[2].

ما يتضح لنا من هذا أن حب السلام إنما هو فضيلة من فضائل المدينة السماوية، حبه مرهون بحب البرّ وحب العدالة وكذلك حب الإنسان للإنسان، إذا ما كان ذلك فإن الإنسان سيعيش في دائرة السلام الإلهي الأبدي.

د) محبة السعادة: تحدث أوغسطين عن السعادة مشيرا إلى أن السعادة هي مبتغى البشرية جمعاء، كما بين في هذا الطرق الصحيحة التي من شأنها أن توصلنا إلى حياة سعيدة وأبدية، ويرى القديس أوغسطين أن "السعادة تقوم في حصول المرء على ما يريد. لكن ليس على أي شيء يريد، بل لابد أن تتوافر في المرء عدة شروط" [3]، أي بمعنى أن السعادة تعني حصول الإنسان على ما يبتغيه لكن بشروط لزم توفرها، وهذه الشروط هي "أن يكون ثابتا باقيا، لا يتوقف عن الصدفة: فأن يريد الإنسان ما يملك ــن أن يفقده، معنــاه أن يظل دائمــا في خوف من فقدانــه. وليــس في هـذا طمأنينة"[4]،وبهذا فإن الإنسان الذي يعيش في خوف فإنه لن يكون بهذا سعيدا أبدا، وبالتالي يجب البحث عن الدائم الأبدي الذي لا يخضع للصدفة، فيكون بهذا الموصل إلى السعادة.

---

[1] أغسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطين ، مصدر سابق، ص194.

[2] المصدر نفسه، ص195.

[3] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج 1، ط 1، المؤسسة العربية، بيروت، 1984، ص 250.

[4] المرجع نفسه، ص250.

تحدث القديس أوغسطين عن هذا الدائم الأبدي الذي به يصل الإنسان إلى السعادة الحقة وهو يحاور محاوريه فقال: "من أراد أن يكون سعيدا عليه أن يوفر لنفسه ما هو باق على الدوام، ولا يمكن أن ينتزعه منه الحظ، وإن ثار ضده. لقد وافقنا على الموضوع منذ برهة، أجاب تريجنسيوس، فقلت هل يبدو لنا أن الله أزلي سرمديّ ؟ إنه أكيد ولا حاجة للسؤال، قال ليشنسيوس. ووافق الآخرون كلهم في خضوع وتقوى. والنتيجة هي أن السعادة تكمن في أن يكون الله لنا" [1]، ومن هنا إذا أردنا تحصيل السعادة الحقة فإن الطريق أمامنا بيّن، علينا أن نكون لله ليكون الله لنا، على الإنسان أن يتعالى على الموجودات الأرضية لأنها ليست بكاملة وليست بدائمة، هي معرضة للزوال وبالتالي زوال سعادتنا معها، علينا أن نكون مع الله لأنه هو مصدر سعادتنا، هذا ما بينه أوغسطين في مناجاته للرّب حيث قال: " اللهم يا أبا الحقيقة والحكمة والحياة الحقيقية والفضلى، ويا أبا السعادة والخير والجمال والنور المدرك" [2]، بهذا يجب أن ننزع إلى الخير الكامل والأسمى والذي هو السعادة، وما نزوعنا إلى السعادة إلا نزوع إلى الله، علينا أن نتطلع إلى الدائم السرمديّ ، كون أن السعادة لا تكمن في العالم الأرضي، إذ يقول القديس أوغسطين: "السعادة ليست من هذا العالم فارفع قلبك إلى العلى" [3]، إن سعادة الإنسان بهذا تكمن فيما أراد الرّب الإله، فمن أرادها إذا عليه أن يكون في الله.

إن عرضنا لأشكال الحب في مدينة الله في إطارها الأخلاقي إنما يُظهر لنا بوضوح التداخل الحاصل بين هذه الأشكال، فمثلا حب العدالة مرهون بحب الخير للآخرين، وحب السلام يلازمه حب البرّ والذي يعني حب الخير والصلاح، وكذا حب العدل، وأيضا حب الأخوة الذي يكمن في حب الإنسان لأخيه الإنسان لدرجة التضحي .ة بالنفس من أجل صلاحه، الحب الأول « حب الخير »، والحب الثانـــي « حب العدل »، والحب الثالث

[1] أوغسطينس، تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب، مصدر سابق، ص 100.

[2] أوغسطينوس: محاورة الذات، تر: يوحنا الحلو، ط 1، دار الشروق، بيروت، 2005، ص ص8-9.

[3] أوغسطينوس، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطين، مصدر سابق، ص 12.

« حب الســلام » يؤدون إلـى حـب آخـر ألا وه ــو« حب السعادة » التي يسعى إليها الجميع، فالسعادة تتحقق بحب الخير ، تتحقق بحب العدل ، توجد وتتأسس بحب السلام، فالسعادة طريقها الله ، إذ أن العمل وفقا لشريعته وتطبيقا لإرادته وقانونه يوصلنا إليها، وما أنواع الحب الثلاث الأولى إلا قانون أخلاقي يطبع المدينة السماوية، دولة الرّب، وبالتالي أنواع الحب هذه ما هي إلا جسور نحو بلوغ السعادة المنشودة الدائمة والأبدية.

ثانيا: تجليات الحب في أخلاق المدينة الأرضية:

إن الحديث عن أخلاق المدينة الأرضية يضرب بجذوره إلى أولى بدايات تشكل التاريخ، أي بعد الخطيئة التي قسمت الإنسانية إلى فريقين، ليؤكدها قتل قايين لأخيه هابيل، فكان كلاهما أول مولود للمدينتين، ومنذ ذلك الوقت أصبح تاريخ الإنسانية عبارة عن جدل بين مدينة الله ومدينة الأرض ، بين الخير والشر ، فالطبيعة فطرت آدم وذريته على الخير، وما الشر إلا عرض ونقص فيه، ورغم هذا الانقسام إلا أننا نجد علة تجمع بين المدينتين وهي فضيلة الحب، فكما سبق ذكره أن مدينة الله يسودها حب الله وتعرف مدينة أورشليم على أنها وليدة حب الله ، بينما المدينة الأرضية فهي وليدة حب العالم، فالحب هو القاسم المشترك بين المدينتين وإن اختلفت طبيعته، فبينما الأولى قلوبها عامرة بحب الله، نجد الثانية يطغى عليها حب الذات حد استعبادها، وعلى هذا الأساس تكون أخلاق المدينة الأرضية مبنية على حبها لذاتها بمحض إرادتها، وعلى هذا يمكننا بناء تصور أخلاق المدينة الأرضية، ممثلة في الإمبراطورية الرومانية الوثنية ، التي تجعل كل من يحملها ينتمي لسكان مدينة الأرض ومنها نجد:

أ) حب المجد والتسلط: هو إحدى أخلاقيات المدينة الأرضية، إذ يسعى سكانها إلى بلوغ المجد والتسلط بشتى الطرق، فنجد أوغسطين يقول: "وشهوة التسلط هذه من بين كل شهوات الجنس البشري، والتي تسكر بها النفس الرومانية، تغلبت على عدد قليل من أقوى الناس،

ووجدت من بقي تعبا منهوكا فاستعبدته " [1]،فرغبة ملوك الرومان في التسلط وبلوغ المجد قادهم في أغلب الأحيان إلى اتخاذ السبل الخاطئة ، حتى مع مواطنيهم ، من نهب وقتل واستعباد وجشع وطمع دامس، يقول أوغسطين: "اهتمام الملوك ينحصر بفرض الطاعة على عبيدهم دون رعاية الفضيلة، فعلى العبيد طاعة مواليهم" [2]،أي أن الحكام لم يكونوا ليلقوا اهتماما للفضيلة فالكل عبيد وخادم لهم بما يحقق مرادهم، إذ أن همهم هو البقاء في رفعة وسمو وعلو، غير مكترثين بما يعانيه شعبهم من كوارث وأمراض، كما أن غياب العدالة أدى إلى قيام فساد وانحلال أخلاقي في أبشع صوره ، وأسوء من أي خطر خارجي، يقول أوغسطين: "إن أشد الأعداء خطرا على دولة ما هو انتفاء العدل فيها" [3]،فغياب العدل يعني مآثرة المصلحة الفردية على المصلحة العامة، والاستبداد والطغيان نتيجة الانكفاء عليها بغية تحقيق المجد الفردي، ولعل طغيان حكامها مرده إلى القوة والبأس اللذان تملكانهما ما أدى بأغلبهم إلى الرغبة في التسلط وحب المجد، في المقابل يذكر التاريخ الروماني نماذج من الحكام الذين كانت لهم رغبة في المجد لصالح الدولة ، ومنهم الملك شيبيون الذي عمل على الحفاظ على الإمبراطورية ضد كل غزو خارجي ، أو انحلال وانقسام داخلي، يقول أوغسطين عنه: "كان يبغي ضبط غريزة الحرية الزائدة والدعارة بواسطة الخوف، ويكبح جماح البغاء بواسطة البخل، كما أراد أن تتجذر الفضيلة وتزدهر في الجمهورية و تتنامى فيها الحرية الضرورية للفضيلة" [4]،فحارب كل انحلال وفساد أخلاقي، وقيد الحريات بما يحفظ الأمن والفضيلة للدولة.

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج1، مصدر سابق، ص53.

[2] المصدر نفسه، ص79.

[3] المصدر نفسه، ص92.

[4] المصدر نفسه، ص55.

ب) حب الحرية: لا شك أن الحرية ضرورة إنسانية، فالإنسان حر ومريد منذ بدء الخليقة، والفرد الروماني الذي عاش طليق الأهواء بحريته وإرادته المستقلة، كان يحق له أن يفعل ما يشاء، ويتكلم فيما يريد، يقول أوغسطين: "كان القانون يسمح بالتكلم بحرية واسميا عن كل شي، وعن الكل" [1]، فالحرية بمعناها الواسع وأبعادها العميقة هي من ميزت حياة الفرد الروماني، خاصة الحكام، فبينما نجد شيبيون مثالا للحرية المعتدلة لحكام الرومان ، في الوقت الذي كانت تلهث رعيته وباقي الحكام وراء شهواتهم ومطامعهم، نجده حرم عليهم ألعاب المسارح التي تستعرض فيها الأعمال الإجرامية ، وكل ما له صلة بالانحلال الخلقي، يقول أوغسطين: "لقد أقنع زملاءه بأن يعدلوا عن بناء ذاك المسرح الكبير لما كان عليه من فصاحة، لأنه مشروع فاسد ومفسد (...) تلك الحرية الزائفة والزائدة مع الرذيلة" [2]، أي أن شيبيون حاول أي يخلص الرومان من الإيمان المطلق ، والعمى الذي أصابهم ، لما تأمر به آلهتهم وأرواحهم الشريرة، فجعل من الفضيلة حدا لتسيبهم واستهتارهم، فكان بذلك مثالا للمواطن المحب لوطنه.

في مقابل هذا اتخذ البعض من مفهوم الحرية استعباد للآخر، واغتصاب للنفوس والحقوق، وكل مظاهر الفسق واللهو، يقول أوغسطين: "لأنكم تريدون التمتع دون إزعاج برذائلكم أحرارا من كل عذاب جهنمي لا يطاق والغوص ما شئتم في فسادكم" [3]، أي أنهم وجدوا مبررات تعزى بها نفوسهم ، كي يمارسوا الرذائل بحرية ودون أي ضغط أو أكراه، فكانت الحرية بذلك مسرحا للظلم والعنف واستعباد الشعب بدل من احتوائه.

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج1، مصدر سابق، ص77.

[2] المصدر نفسه، ص54.

[3] المصدر نفسه، ص52.

ج) حب العظمة: لا شك أن الحروب التي خاضها الرومان ضد قرطاجة وبقية المدن آنذاك، كانت تهدف إلى إثبات علوهم على باقي الدول، والتي تقودها إلى التقدم والإستمرارية، فحبهم للمجد ورغبتهم في العظمة فاق حتى رغبتهم في الحياة، يقول أوغسطين: "لكنهم لم يشبعوا من المجد والعظمة الذي أحبوه حبا، وآثروا أن يحيوا من أجله وما ترددوا عن الموت في سبيله"[1]،ويقول أيضا: "تلك هي العواطف التي تثيرها قيم شوق جامح إلى المجد والعظمة: إنه في البداية حب الحرية ثم التسلط وأخيرا شهوة العظمة التي تلد البطولة "[2]،أي أنهم كانوا يطمحون إلى تخليد أسمائهم في التاريخ، حبا لوطنهم، وتمجيدا له، بغض النظر عن من كانت له شهوة التسلط ومطامح شخصية.

إن فضيلة حب المجد والعظمة من أنبل ما تميزت به الإمبراطورية الرومانية، إذ سعى حكامها لجعل إمبراطوريتهم سيدة على العالم، فيها تسامت المصلحة العامة على الخاصة، يقول أوغسطين: "وقام الرومان بهذه المهمة، بقدر ما تخلوا عن الملذات التي تضايق النفس والجسد" [3]،أي أن حبهم للعظمة قادهم إلى كبح جماح النفس من كل الشهوات والملذات الحسية، التي من شأنها أن تقف حاجزا في بلوغ الهدف.

د) حب المال: هو غريزة متجذرة في الطبيعة الإنسانية جمعاء، فالفرد يسعى لتأمين حياته واحتياجاته بتحصيله للمال بطريقة معتدلة، لأنه إن طغى وزاد عن حده أصبح مرضا وقاد النفس إلى ارتكاب الشرور والآثام، فتتملكه شهوة المال والأنانية ، وحب الذات حد امتهان الآخر، يقول أوغسطين: "أما الذين يرومون الغنى فيسقطون في التجربة وفي الفخ وفي شهوات كثيرة وسفيهة مضرة، تغرق الناس في العطب والهلاك" [4]،ولعل هذا كان إحدى

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج1، مصدر سابق، ص240.

[2] المصدر نفسه، ص241.

[3] المصدر نفسه، ص242.

[4] المصدر نفسه، ص32.

أسباب هلاك ودمار روما، فأغنيائها وملوكها كانوا يتبجحون بالأموال والثراء، وينهبون ثروات الفقراء، وما تم جمعه من الحروب لصالحهم الخاص، يقول أوغسطين: "همهم أن يزداد كل واحد منهم غنى ويكدس الثروات، ليؤمن مصاريفه اليومية الباهظة، فتكون رعاية الواحد ضمان لاسترخاء الآخر في كسل مستمر"[1]، فجشعهم قادهم إلى طمس الآخر وجعله مصدرا لتحصيل الثراء، أي أن مملوكيهم هم وكلاء لملذاتهم.

المبحث الثالث: تجليات الحب في التاريخ عند أوغسطين

أولا: بداية التاريخ عند أوغسطين:

إن فلسفة التاريخ عند أوغسطين تبدأ بمقدمة أولى هي بداية التاريخ، ولن نستطيع فهمها إلا بارتباطها بالزمن الذي تحركه الأبعاد الثلاث: الماضي، الحاضر، المستقبل ، فقد جاء في سفر التكوين: "في البدء خلق الله السموات والأرض" [2]، أي أن أول ماخلقه الله هو السموات والأرض، فهي بداية خلق وزمن، وهنا ربط بين فعل الخلق والزمن، فالله سابق على الزمن، "فالزمن الذي يقصده أوغسطين هو عصر ما بعد الخطيئة وحتى اليوم الآخر وما قبله وما بعده هو الأبدية" [3]، بمعنى أن التأريخ يبدأ بعد خطيئة آدم، إذ أصبحت الإنسانية خاضعة للصيرورة والفناء بحكم الزمن حتى اليوم الآخر، أما ما قبله فينتمي إلى الأبدية ، حيث لا زمن ولا تغير يحكمها.

يحلل أوغسطين فكرة الزمن ليخلص إلى وجود ثلاثة أزمنة: "حاضر الماضي، حاضر الحاضر، حاضر المستقبل، جميعها موجودة في أذهاننا ولا أجدها إلا فيه، فحاضر الأشياء الماضية هو الذاكرة، وحاضر الأشياء الحاضرة هو الرؤية المباشرة، وحاضر الأشياء

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج1، مصدر سابق، ص23.

[2] سفر التكوين: الإصحاح الأول، [1].

[3] زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص42.

المستقبلية هو الانتظار"[1]،أي أن مفهوم الماضي هو الأحداث التي انقضت دون عودة فقط تسترجع بالتذكر، أما الحاضر هو ما نعيشه ونحياه، وأما المستقبل فهو الذي ننتظره، وبإسقاطنا لهذه الفكرة على مجرى التاريخ تكون البداية مع الخطيئة التي أدت إلى انقسامات وسلسة من الكوارث والشرور، ولا نجاة منها إلا بخلاص المسيح لنا من ذنب توارثنا لها ، التي لوثتنا وفرضت علينا الموت والفس ـاد، بعد أن كنا نعيش في الجنة وهو الحاض ـر، يقول أوغسطين: "ما أن نبدأ في التواجد في الجسم الذي عليه أن يموت فانه لا يحدث لنا شيء إلا ويؤدي إلى الموت" [2]،فبخلاص المسيح منح الإنسان أملا ليشارك القديسين في الأبدية وهو ما نعنيه بالمستقبل.

إن أوغسطين كما يجعل من العقل خادما للعقيدة في المعرفة، كذلك يجعل من التاريخ خادما له في بلوغ الحقيقة التاريخية، "فالعقيدة هي وحدا التي تخبرنا بأن العالم بدأ بالخلق، وبأنه سينتهي باليوم الآخر، وبأن أهم أحداث هذا العالم هو السقوط، وبأن الله تجسد ف ـي يسـوع المسيـح، وبأن الكنيسة لا بد وأن تنمو، وبأن المسيـح سيعود"[3]، إن هذه الأسرار يأخذ التاريخ منها الأحداث محاولا تفسيرها ، وتحديد بداية لها ومسارها ونهايتها، ولا يكتفي بهذا فقط، بل يجعل من أحداث الماضي والحاضر مادة له.

إن التاريخ عند أوغسطين يبدأ مع خلق السموات والأرض، فخلق الجنة والملائكة، وأوجد الإنسان الذي أسكنه في الجنة، لكنه أخطأ وعوقب بالحرمان، يقول أوغسطين: "في الواقع لقد خلق الله الإنسان سليما مستقيما، لأنه خالق الطبيعة دون ألم، لكن الإنسان قد خطئ فعوقب بعدل وانتقل إلى ذريته فساده وعقابه" [4]،فالله هيأ له كلما يجعله يعيش حياة هادئة وفي نعيم، لكنه و بمحض إرادته ولنقص المحبة فيه أخطأ، فعوقب هو وذريته بالموت

---

[1] زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص44.

[2] أوغسطينوس، مدينة الله، ج3، مصدر سابق، ص217.

[3] زينت محمود الخضيري، مرجع سابق، ص59.

[4] أوغسطينوس، مدينة الله، ج 2، مصدر سابق، ص126.

المحتوم، ونتيجة لهذا كانت بداية تاريخ المدينين الأولى الأرضية، والثانية السماوية، يقول أوغسطين: "إن الطبيعة التي لطختها الخطيئة تلد مواطني لمدينة الأرض والنعمة التي خلصت الطبيعة من الخطيئة تلد مواطني المدينة السماوية" [1]، وعليه تكون بداية المدينة الأرضية مع الخطيئة، لتبدأ مع أول مولود لها وهو قايين، في مقابل ذلك يكون أول مولود للمدينة السماوية هو هابيل، يقول أوغسطين: "فان المولود الأول الأصلي للجنس البشري هو قايين ابن مدينة الشر، الثاني هو هابيل ابن مدينة الله" [2]، أي أن ما حدث مع قايين وهابيل من عراك وعداوة وقتل الأول للثاني يجسد عرضية الشر ووجوده كانعكاس نتج عن الخطيئة، بينما الآخر يؤكد أن الخير مفطور ومتجذر في الإنسان منذ البدء.

وعليه يمكن القول أن نقص الحب هو من أدى إلى تفرق الإنسانية وتشتتها، فبعد أن كان آدم يحيا مع الله ولا يحب أحدا سواه، تعلقت نفسه بملهيات أخرى فانصاع لها ونازعه حب آخر ليطرد هو وحواء من الجنة، ولتواصل البشرية تشتتها مع قايين وهابيل ويقضى على الوحدة ليؤسس إلى ثنائية مدينة الله ومدينة الأرض، ولتعود المحبة من جديد على يد اليسوع، وتخلص البشرية من الخطيئة الأصلية كي تحيا في نورها من جديد.

ثانيا: مسار التاريخ عند أوغسطين:

قسم أوغسطين التاريخ إلى سبع مراحل، اعتمادا على ما ورد في الكتاب المقدس، فيكون تسلسل الأمم والشعوب مع أول إنسان حتى اليوم الآخر، وعليه نجد تقسيمه كالآتي :

1. "من ادم إلى طوفان نوح.
2. من طوفان نوح إلى إبراهيم.
3. من إبراهيم إلى داود.

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج 2، مصدر سابق، ص116.

[2] المصدر نفسه، ص116.

4.من داود إلى الأسر البابلي.

5.من الأسر البابلي إلى ميلاد المسيح.

6.العصر الحاضر.

7.اليوم الذي سوف يستريح فيه الله كما حدث في اليوم السابع"[1].

المرحلة الأولى: تبدأ من آدم إلى طوفان نوح . أي منذ أول خليقة على الأرض ويستمر النسل حتى طوفان النبي نوح، يقول أوغسطين: "جيل البشر الذي يعيش بحسب الإنسان، وجيل أبناء الله الذين يعيشون بحسب الله حتى الطوفان" [2]،ولقد تميز عمر الإنسان وحجمه في فترة ما قبل الطـوفان بالطول والضخامة، حتى أننا نجد أن النبي نوح عمـر لما يقـارب تسعمائة وخمسون سنة، يقول أوغسطين: "نجد حقا أناس غير عاديين بحجومهم وضخامة أجسادهم"[3]، إن سلالة نوح من سلالة أبناء أدم فينسب إلى إبنه شيت، كما أن التاريخ لا يحصي ذرية قايين إلا بربطها بقصة الطوفان ، الذي أغرقهم بالكامل، يقول أوغسطين: "إن كانت ذرية قايين قد أبيدت، بأكملها، في الطوفان" [4]،وقد أمر الله نوحا ببناء سفينة ليحتمي فيها هو وأهله ، ويحمل فيها من أمره الله من الحيوانات لينجو من الطوفان، ويغرق أهل المدينة الأرضية، يقول أوغسطين: "إن نوحا ذاك الذي قبل من الله أمرا بوجوب بناء سفينة يلجأ إليها هو وزوجه وأبناؤه، وكل حيوان يأمره الله بإدخاله لينجو من كارثة الطوفان" [5]، وبهذا فقد امتثل النبي نوح لأمر ربه وحدث الطوفان وغرق من أرادهم الله أن يغرقوا ، ونجا نوح ومن كان معه.

---

[1] رأفت غنيمي الشيخ: فلسفة التاريخ، دط، دار الثقافة، القاهرة، 1988، ص82.

[2] أوغسطينوس، مدينة الله، ج2، مصدر سابق، ص230.

[3] المصدر نفسه، ص332.

[4] المصدر نفسه، ص 258.

[5] المصدر نفسه، ص 272.

المرحلة الثانية: تبدأ من طوفان نوح إلى إبراهيم . بعد الطوفان المدمر الذي نجا من الصالحين ومنهم أبناء نوح، يقول أوغسطين: "أما نوح، فقد منحه الله علما أصيلا بالمستقبل، فقد بارك ابنيه سام ويافث بركة نبوية، ولهذا لعن اسم شام الابن الثاني من أولاده الثلاثة، ولم يلعنه في شخصه سبب إثمه بل في شخص ابنه أي حفيده كنعان" [1]،نفهم من هذا أن لنوح ثلاث أبناء، اثنان باركها الرب وهما: سام ويافث، والثالث لعنه الرب بسبب حفيده كنعان ، الذي سيعيد إحياء بذور الشر من جديد، واستمرت سلالة سام، وانتشرت من أبناءه عابر الذي اشتق منه اسم العبرانيين، وانقسمت الأرض إلى أمم، بعد أن كانت الأرض تتحدث بلغة واحدة أصبحت هناك لغات متنوعة، يقول أوغسطين: "وكانت الأرض كلها لغة واحدة وكلام واحد(...) والآن لا يكفون عما هموا به حتى يصنعوه، هلم نهبط ونبلبل لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض" [2]،أي أن الرب شتتهم لقبائل ولغات متفرقة، وهكذا تتابعت السلالات الصالحة من أبناء نوح الصالحين حتى إبراهيم.

المرحلة الثالثة: تبدأ مع إبراهيم إلى داود ، تبدأ مع إبراهيم الذي ولد في كنعان التي كانت تابعة لمملكة آشور، كبر هناك وزوجه والده بسارة، وهنا أمره الرب بالخروج هو وزوجه وابن أبيه لوط لكنعان ، يقول الرب: "ارفع أطرافك، وانظر في الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا، شرقا وغربا إن جميع الأرض التي تراها لك أعطيتها ولنسلك للأبد" [3]،فقد وعد الرب إبراهيم بأن يمنحه أرض كنعان للأبد، وأن يجعله أبللبشرية جمعاء، وهكذا تكاثرت سلالة إبراهيم حتى بشره بابنه اسحاق من سارة، وامتحنه فيه، ليقدمه ذبيحة له، يقول أوغسطين: "فقد امتحن إبراهيم، إذ أمر بتقديم ابنه اسحق ذبيحة لكي ينكشف أمام الأجيال الطالعة" [4]، وقد امتثل إبراهيم لأمر ربه كما فعل نوح وبنى السفينة، وما إن كاد يمد يده ويذبحه حتى

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج2، مصدر سابق، ص281.

[2] المصدر نفسه، ص290.

[3] سفر التكوين: الإصحاح الثالث عشر، [14-16].

[4] المصدر السابق، ص335.

فداه الرب بكبش وهنا تحقق الإيمان الصادق لإبراهيم ولتنزل بركة الأب على الابن اسحق، يقول أوغسطين: "إن الله يجدد المواعيد لا تتحلى التي قد أعطاها لأبيه من قبله" [1]، أي يقصد إبناه يعقوب وعيسى، ويمتد النسل حتى داود.

المرحلة الرابعة: من داود إلى الأسر البابلي. توالت النبوءات من إبراهيم لاسحاق فيعقوب، لتصل إلى داود، وقد منَّ الله على داود بنعم كثيرة غمره الرب بها، إذ أمده بسليمان ابنا له، الذي حقق ما أراده والده ، وهو بناء بيت هيكل لله، يقول أوغسطين: "وغمرت النعم داود، وازدهر ملكه ففكر بأن يبني بيتا هيكلا، شهيرا، بناه فيما بعد سليمان ابنه الملك" [2]، وقد أشار داود في مزاميره كثيرا إلى المسيح، ومن أقواله التي أخذها عنه أوغسطين : "حلفت لداود عبدي لأثبتن نسلك إلى الأبد، وضعت عوني على رجل قدير ورفعت من اخترت في شعبي داود عبدي، بدهن قداستي مسحته، معه تثبت يدي وذراعي تؤيده" [3]، كل ما جاء به يشير إلى قدوم المسيح الذي يثبت في الله ويثبت الله فيه، وقد خلف بعد سليمان ملوك، اثنان في اليهودية وإسرائيل، وبينما كان الأولون على قدر من الفضيلة، كان الآخرون غارقون في الرذائل، يقول أوغسطين: "كما أن ملوك يهوذا كانوا على شيء من الفضيلة، كان ملوك إسرائيل على تفاوت من الرذل والسحب" [4]، فقاموا بتهديم الهيكل تحت ضربات الكلدانيين واسروا لمدة سبعين سنة، وبعد أن تم تحريرهم أعادوا بنائه وبقوا خاضعين لروما.

المرحلة الخامسة: من الأسر البابلي إلى المسيح. تبدأ مع المملكة الآشورية إلى الإمبراطورية الرومانية انتهاءا، إذ الأولى في الشرق والأخيرة في الغرب، إن آشور هي روما القديمة وظلة عهد الملوك في بابل حتى ولادة موسى "محرر شعب الله، فحطم نير العبودية

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج2، مصدر سابق، ص337.

[2] المصدر نفسه، ص384.

[3] المصدر نفسه، ص413.

[4] المصدر نفسه، ص413.

الذي كان يئن تحته الشعب المختار" [1]، فموسى هو من حررهم من عبودية وتسلط الملوك المصريين، فقد سلمه الله العهد القديم يقول: "وأعطى الشعب المحرر الشريعة التي تسلمها من الله فوق جبل سيناء بالعهد القديم" [2]، فقد حمل موسى إلى شعب إسرائيل تعاليم الرب المبثوثة في العهد القديم، وبعد وفاته خلفه يشوع، وبعد وفاة الثاني سادت الأساطير والخرافات لتعبد محل الرب، خاصة لدى الشعب اليوناني والروماني، إلى أن جاء المسيح ومنح السلام مع ولادته، يقول أوغسطين: "بحسب النبوءة السابقة في بيت لحم من سبط يهوذا: إنسان منظور يولد بشريا من عذراء اله خفي منبثق من الله الأب" [3]، فالمسيح ولادته معجزة، إذ ولد من غير أب لحكمة أرادها الرب.

المرحلة السادسة: العصر الحاضر. وهو العصر الذي عاش فيه المسيح وشهد العالم معجزاته، فمنهم من آمن به واتبعه، ومنهم من عم يَ على قلبه وتملكه العداء له، وخاصة اليهود من يسمون أنفسهم شعب الله المختا ،ر يقول أوغسطين عنهم: "يدعون اليهود وحدهم دون سواهم من بني البشر، منذ ما بدأت ذرية إسرائيل تنتشر على وجه الأرض" [4]، فالرب أراد أن يعلمهم أن هناك أمم أخرى اختصها وفضلها بقدوم المسيح الذي هو وسيط بين الرب والبشر جاعلا من الكنيسة مكانا له، يقول أوغسطين: "سأعطي السلام في المكان الذي يرمز إليه" [5]، ولقد اختار المسيح تلاميذه ليعلمهم ويحفظوا وصاياه، يقول عنهم أوغسطين: "اختار تلاميذه وسماهم رسلا واختارهم دون النظر إلىأصلهم ومقامهم (...) بينهم واحد شرير استخدمه بالحسنى ليتمم ما تقرر لآلامه ويعطي كنيسة مثلا في تحمل الأشرار" [6]، فقد علم

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج 3، مصدر سابق، ص15.

[2] المصدر نفسه، ص15.

[3] المصدر نفسه، ص82.

[4] المصدر نفسه، ص84.

[5] المصدر نفسه، ص86.

[6] المصدر نفسه، ص87.

المسيح بما سيحدث معه من مؤامرة ، التي يكيد بها له أحد تلاميذه ، وفي ثنايا هذا الوقت تعرض المسيح وتلاميذه لاضطهادات عدة، لحقت حتى الاضطهاد الأخير أين صلب وعذب وتحمل الآلام والعذاب حبا فينا وفدائا لأجلنا، يقول أوغسطين: "في قلوب أولئك الرجال كان يذوب جليد الخوف على حرارة محبتهم (...) راحوا يعلنون الإنجيل متحملين أقسى الاضطهادات والعذابات التي لا توصف"[1]، أي أن المحبة تستلزم التضحية وتحمل العذاب.

المرحلة السابعة: العصر الذي يستريح فيه الله كما حدث في اليوم السابع. كما نعلم أن المسيح تحمل آلام الصلب والعذاب وكل أنواع الأسى والاضطهاد ليموت ونحيا بفضله في نور المحبة، التي علمنا إياها عملا وفكرا، لكنه سيعود ويقوم قيامته الأولى بين تلاميذته، أما القيامة الثانية فهي يوم الدينونة يقول أوغسطين: "في الحياة قيامتين: قيامة بحسب الإيمان تتحقق الآن بالعماد والثانية بحسب الجسد تتحقق في الخلود وعدم الفساد يوم الدينونة والعظمة"[2]، وهنا ينتهي مسار التاريخ بقيامة المسيح الثانية، أين يحاسب الناس خيرا صنعوه أو شرا عملوه فتحيا أجسادهم.

من خلال عرضنا لمسار التاريخ نجد أن المحبة هي التي فصلت بين الصالحين والطالحين، فمن قايين ابن آدم حتى نهاية الطوفان وبداية عهد إبراهيم، كانت الحياة مختلطة بين أبناء مدينة الله وأبناء مدينة الأرض، لكن لما جاء إبراهيم بدأت ملامح المدينة الأرضية تتشكل وتتمايز عن المدينة السماوية، التي كان إبراهيم أبا لها، ومثلها بنو إسرائيل، في حين شملت المدينة الأرضية باقي الإنسانية، لتصل إلى ذروتها في الإمبراطورية الرومانية الوثنية، ليزول التمايز وتعود الوحدة من جديد بفضل محبة المسيح الابن الذي فداه الرّب ليخلص البشرية من الخطيئة الأصلية، وتحيا من جديد في نور المحبة مجتمعة حتى يوم الدينونة،

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج 3، مصدر سابق، ص89.

[2] المصدر نفسه، ص184.

جاعلة من الكنيسة مقرا لها في الدنيا، فبنقص المحبة افترقت الإنسانية وبالمحبة توحدت من جديد.

ثالثا: محرك التاريخ عند أوغسطين:

إن الحديث عن فكرة محرك التاريخ عند أوغسطين ترتبط ارتباطا مباشرا بالظروف التاريخية التي عاصرها، والأفكار التي روج لها في عصره عن المسحية ، لذا نجده يحاول الرد عليه وتبيين ضلالها، ومنها الرد على البيلاجيين [*]،وأهم فكرة تصدى لها أوغسطين في قولهم: "أن الله خلق آدم فانيا بحيث يكون مصيره الموت سواء أخطأ أم لا، وأن الأطفال يولدون في حال شبيه بحال آدم قبل الخطيئة، وأن المسيح لم يأت إلا ليخلص المؤمنين، وأن الإنسان يستطيع أن يعيش دون خطيئة، فقبل مجيء المسيح وجد أناس بلا خطيئة " [1]، إن الفكرة الأولى تنفي إرادة الله وحكمته في الخطيئة التي وقع فيها آدم، كما تنفي تجسيد المسيح لخلاص البشر من الخطيئة التي وقع فيها آدم، وهذه هي الفكرة الثانية، أما ثالثها فهم ينفون توارث الخطيئة بقولهم أن الأطفال يولدون بلا خطيئة تماما كما كان حال آدم قبل الخطيئة، كما أنهم خصوا الخلاص بالمؤمنين فقط ، والمسيح أتى ليخلص البشرية كلها ، وبعدها يتمايز المؤمنون وغير المؤمنين بأفعالهم، وآخرها أنهم قالوا أن الإنسان يستطيع أن يتحرر من الخطيئة بمحض إرادته إذا التزم التعاليم والأوامر الإلهية فتسقط عنه الخطيئة، إن محصلة هذه الأفكار تقودنا إلى القول باستقلالية الإرادة البشرية المطلقة عن الإرادة الإلهية، فقد قالوا أن المؤمنين يستطيعون بلوغ الكمال بمحض إرادتهم الحرة، وبالتالي هم ينفون تدخل القدرة الإلهية وعلمها المسبق خاصة في موضوع الخطيئة، فالرب كان يعلم بما سيحدث لكنه لم يمنع آدم وحواء من السقوط، فترك لهم حرية الاختيار دون ضغط أو إكراه، وكان هذا أول

---

[*] البيلاجيين: من أتباع بيلاج وهو راهب انجليزي، من أكبر المعارضين للقديس أوغسطين ولمذهبه، خاصة في تفسير الخطيئة ومشكلة الشر . (ينظر: ليو شتراوس، مرجع سابق، ص288).

[1] زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص82.

اختبار للبشرية في كمال محبتها لله، إما أن تثبت محبتهم فيه، أو تحل محبة ذواتهم وتنقص محبة الله فيهم.

بهذا ابتعد الإنسان وسقط وصار خاضعا للموت هو وكل البشرية، وهذا تجلي ثاني وسر خفي لا يعلم أمره إلا خالق الكون وواجده، لتثبت فينا محبة الله من جديد في تجسيد المسيح بافتدائه لخلاص البشرية كلها، لكن تخليصه لهم لا يعني تبريره للخطايا التي سيقعون فيها بمحض إرادتهم، فاللطف الإلهي كما يسميه أوغسطين: "يخلص من اختاره الله أي شمله بلطفه" [1]، بمعنى أن من حفظ وصايا الله وعمل بمقتضاها سيشمله عناية ولطف الله له، وهذا لا ينفي علم الله المسبق بما ستكون عليه أفعال البشر خيرا كانت أو شرا، فالرب يعلم ما يكون قبل أن يكون، وحين يكون، وبعد أن يكون، فعلمه كلي وقدرته ثابتة في نظام الأشياء، أي أننا نعمل ونفعل ما نريد وفق إرادتنا التي هي جزء من الإرادة الإلهية، يقول أوغسطين: "الله يعرف كل شيء قبل أن يكون، وإرادتنا تعمل ما نعرف وكل ما نشعر بأننا لا نعمله لأننا نريد" [2]، فصحيح أن الإنسان يشارك الرب في أنه حر ومريد، لكنه في الواقع يسير وفق ما تقتضيه إرادة الله له، فالرب بإمكانه أن يمنع آدم من السقوط وبإمكانه أن يجعل من كل عباده خيرين ، لكن ولحكمة ارتآها ترك لهم حرية الاختيار إن شاءوا اثروا محبته واستناروا بها، وان شاءوا ساروا في ظلمات الهوى والشرور، كما حدث مع آدم "فآدم لم يفقد حريته في الاختيار بين الخير والشر، بل فقد الحرية الخيرة الخالية من أي هوى" [3]، أي أن آدم اتبع هوى نفسه على طبيعته الخيرة، فالإنسان بمقدوره مجاهدة نفسه وتثبيتها على الطريق السوي، وويبعدها عن الشهوات والآثام، حتى يمن الله عليه بلطفه وعنايته.

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج1، مصدر سابق، ص233.

[2] المصدر نفسه، ص233.

[3] زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص91.

إن عناية الله طالت حتى أهل المدينة الأرضية، ونعني بالذكر المأساة والحروب التي عاشتها والمحن التي تعرضت لها ، واستبداد وجشع حكامها ، والأمراض التي فتكت بها، والخرافات التي طمست فكرها ، لتنسب لها انتصاراتهم حتى و إن اتخذت من بني جنسها في الحروب وسيلة لها في بلوغ مطامعها، يقول أوغسطين: "تلك العناية الإلهية التي تتخذ الحرب سلاحا للإصلاح وسحقا للفساد البشري، وإذ تختبر بتلك الضيقات النفوس البارة والصديقة لتؤهلها أو تبقيها على الأرض لمقاصد أخرى" [1]،أي أن الله يمنح السلطة للبعض إما لاختبار صبرهم وإخلاصهم، وإما لمعاقبة الآثمين والمستبدين، يقول أوغسطين: "إن العناية الإلهية تنشأ مماليك الأرض الذي يشرف بها القدر لكونه يسمى مشيئة الله وقدرته قدرا"[2]، فالرب يقذف العذاب والحروب والويلات أملا في توبة وإصلاح المذنبين، وأحيانا يمن عليهم بنعم كثيرة ، حتى يتقربوا بها إليه ، ويستكشفوا رحمته ، يقول أوغسطين: "إن الله بصبره يدعو الأبرار إلى التوبة، كما أن التجارب ضربات تمرن الصالحين على الصبر، وكما أن رحمة الله تغمر الصالحين، فان حزمه يمسك بالأشرار ليؤدبهم" [3]،وعليه فكل ما يحدث للبشر لا شأن لهم فيه إلا بما توحي به القدرة الإلهية.

إن العناية الإلهية التي قال بها أوغسطين هي انعكاس وتجلي لأعظم فضيلة ألا وهي المحبة، فالله محبة، ومحبته انسكبت في قلوب الصالحين ليزدادوا قربة له، وانسكبت في قلوب الأشرار والعاصيين لتكون أملا لهم، فصراع الإنسان بين مطامع جسده ووصايا ربه ومحبته له هي محرك التاريخ، الذي يظهر في شكل عناية ولطف رباني له.

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج1، مصدر سابق، ص10.

[2] المصدر نفسه، ص219.

[3] المصدر نفسه، ص21.

رابعا: نهاية التاريخ عند أوغسطين:

سبق وقلنا أن التاريخ كان منطلقه الأبدية، ليتخذ بعد الخطيئة مسار السيرورة والإزدواجية بين أبناء مدينة الله وأبناء مدينة الأرض، بدءا بقايين وهابيل مرورا إلى الفساد الذي لحق العالم وخاصة الإمبراطورية الرومانية، ليأتي أهم حدث بعد السقوط وهو تخليص المسيح للإنسانية، فمجيء المسيح هو إصلاح وأمل لإعادة الوحدة البشرية بالحب من جديد بعد تفرقها، وعلى الرغم من معايشة سكان المدينتين ومرورهما بالظروف نفسها التي يحتمها القدر عليهم، لكن طريقة تعاملهم وصبرهم ونواياهم وأعمالهم هي من تفرق بيم مصير كل منهم، يقول أوغسطين: "ومع أن الأخيار والأشرار يتقاسمون البلايا، فهم متمايزون لأن التشابه في الألم لا ينفي التمايز بين محتمليه" [1]، أي أن طريقة تعامل المؤمنين والعاصيين مع المحن تختلف بين راض وصابر ، وبين ساخط وناقم، فمنهم من يندم ويتوب عن معاصيه، ومنهم من يقسى قلبه ويتغلب عليه حبه لذاته ، فتحركه شهوته ويسير في طريق الضلال، إلى أن ينال الغضب والعقاب يوم الدينونة، فيجازى الكل بعدل، فهم يمتحنون في هذا العالم ويختارون على مقدار حبهم لله أو أنفسهم، وعليه فالسيرورة التاريخية لا تسير اعتباطا وعشوائية وبدون تدبير إلهي، بل أن كل شيء له غاية يصبو إليها.

إن أوغسطين كما أنه حدد للتاريخ بداية، كذلك جعل له نهاية يهدف لتحقيقها، إنه السلام الأبدي الذي يتحقق في العالم والحياة الأبدية، فهو نهاية لا تعقبه نهاية، في المزامير: "امدحي أورشاليم الرب، سبحك الهك يا صهيون فإنه مكن مغاليق أبوابك، وبارك بنيك في داخلك يجعل تخومك سلاما" [2]، والمقصود بالسلام هنا هو السلام الأبدي، وجعل من أورشاليم مقرا لها وهي مبتغى أبناء مدينة الله، وتعني أوشاليم "مدينة السلام" أي أن السلام أقصى ما يطمح إليه البشر.

---

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج1، مصدر سابق، ص19.

[2] انظر: الكتاب المقدس: مزمور، الاصحاح 146، [12-14].

إن نهاية التاريخ تتحقق بالسلام الأبدي ، أين يقوم المسيح يوم الدينونة ويعيد الوحدة للإنسانية من جديد، أما عن يوم مجيئه فإنه غير معلوم عند البشر، فهو في العلم الإلهي ولا أحد يعلم عنه شيئا، لكنه يؤمن بأنه سيتحقق حتما، حين يأتي من جديد ويخلصهم من الفساد الذي يلحق بهم "سيخلصهم في نهاية الزمن من الإنهيار الأخلاقي والإنحطاط الحضاري الذي يعاني منه العالم والانسانية جمعاء" [1]، أي أن العالم سيصيبه انحلال أخلاقي هو ما سيهوي به ويقوده إلى الإنحطاط، وهنا يتدخل الرب ويخلص البشرية في نهاية العالم بمجيئ المسيح وقيامته قبل يوم من الدينونة الأخيرة ، يقول أوغسطين: "مجيء المسيح النازل من السماء ليدين الأحياء والأموات وهو المجيء الذي تعترف به، وبه تؤمن كنيسة الله الحق بأسرها، ذاك ما نسميه بالدينونة الأخيرة" [2]، أي أن المسيح سيأتي ويقوم يوم الدينونة الأخيرة ليجازي الأخيار ويحاسب الأشرار محققا بذلك السلام الأبدي .

والسلام عند أوغسطين مطلب إنساني، فالكل يرجوه حتى الأشرار ومن هم في حرب، يقول أوغسطين: "ما من إنسان إلا ويريد السلام، وأولئك الذين يريدون الحرب لا يتمنون شيئا سوى النصر، ورغبتهم الوحدة هي في الوصول عن طريق الحرب ألى السلام المجيد" [3]، أي أن السلام هدف الجميع، فحتى الذي هو في حرب يشنها من أجل أن ينعم ش عبه بالسلام عن طريق النصر.

يميز أوغسطين بين السلام الذي يتحقق في المدينة الأرضية والسلام المحقق في المدينة السماوية، جاعلا من الأول متعلق بالزمن والسيرورة وخاضعا لمتطلبات الجسد ويربطه بالحروب، يقول أوغسطين "فمدينة الأرض التي لا تعيش بالإيمان تطمح إلى السلام الأرضي، وذاك هو الهدف الذي ترسمه للتوحيد بين السلطة والطاعة لدى المواطنين ليتحقق

---

[1] مزواد نسيبة، مرجع سابق، ص113.

[2] أوغسطينوس، مدينة الله، ج3، مصدر سابق، ص177.

[3] المصدر نفسه، ص131.

التلاقي بين الإرادات البشرية فيما يختص بمصالح بشرية"[1]، أما سلام المدينة السماوية فسكانه يَحيون بالإيمان والمحبة ورجاؤهم في ذلك الحياة الأبدية، يقول أوغسطين: "وسلام المدينة السماوية هو نظام وتوافق في جماعة الله، وتبادا فرح مشترك بالله"[2]، أي أنه يشترط أن يكون من أبناء الله فيكون حبهم خالص لله، لتكون حياتهم في سعادة وطمأنينة خالية من كل اضطراب أو قلق فتغمرهم الراحة والسلام .

وعليه فنهاية التاريخ عند أوغسطين تكون مع رابط المحبة الأبدي، فكما أن بداية الخلق كتبت بأعظم آية وهي المحبة، كذلك ستنتهي بها، لتضم كل مسيحي محب للرب ، ليجمعهم المسيح يوم الدينونة محققين الوحدة الانسانية ، ليعيشوا في سلام أبدي وهو ما يؤسس لما يسمى ب « كومنولث مسيحي ».

خلاصة:

في الأخير، يمكن القول أن فكرة المحبة التي نادى بها أوغسطين كانت بمثابة الوقود الذي يتزود به المؤمن المسيحي ليحيا حياة فاضلة، ولتستقيم كل شؤونه في مدينة عامرة بحب الله يسودها السلام، على خلاف مدينة الأرض التي تطغى عليها محبة الذات وأخلاق الفناء ، لأنها ترتبط بالعالم وخاضعة للصيرورة، وبهذا تكون المحبة كذلك هي المحرك للتاريخ والإنسانية بعد تشتتها وانقسامها إلى مدينتين، لتعود الوحدة من جديد بمجيء المسيح الذي بث روح المحبة فيها.

[1] أوغسطينوس، مدينة الله، ج3، مصدر سابق، ص144.

[2] المصدر نفسه، ص 136.

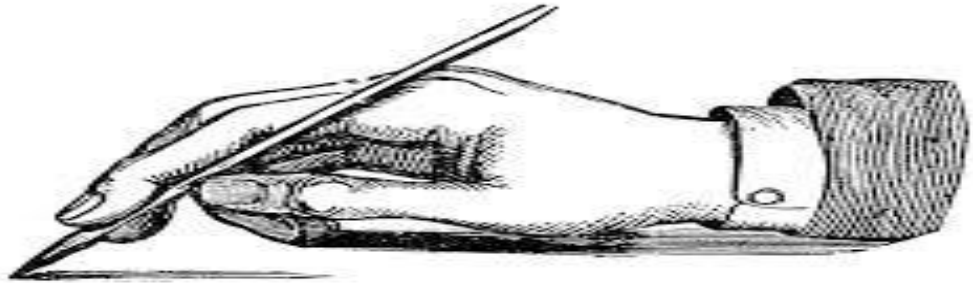

خاتمة

خاتمـــــة

من خلال ما تطرقنا إليه سابقا فإننا نخلص إلى ما يلي:

– إن للحب دلالات مختلفة، واختلافها يعود إلى تضارب آراء منظريها بين فلاسفة وعلماء نفس واجتماع وغيرهم، فلكل مفهومه الخاص عن الحب، إلا أن جميعهم يتفقون على أنه كل ما يبعث في النفس الراحة، ويعود عليها بالسرور والرضى، وتاريخية الحب ترتبط أساسا بالوجود الانساني، إذ هو سابق عن كل فكر وفلسفة، ولو بحثنا في تاريخ الحضارات القديمة لوجدناه متجذرا فيها.

– تعتبر المحبة في الدين المسيحي أعظم الفضائل وأ رقيها، فهي انكشاف الله للبشر ورفع للحجب، بها خلق الإنسان وتشابه مع خالقه، فالمحبة هي بمثابة الجسر الذي يعبره المسيحي لبلوغ الإيمان، والمحبة في المسيحية تتجسد لنا في شخص اليسوع المسيح الذي خلص البشرية وفداها بكل حب وإخلاص ليموت هو وتحيا هي، فالمسيح بمثابة نقطة الوصل بين الله والبشر، والذي كانت تعاليمه بمثابة تشريع للمحبة.

– إن الله مصدر السعادة والنور، والنفس لا تستنير إلا بمشاركتها ومشابهتها لله، والله محبة، فان اتبعنا طريق المحبة فالكل محتاج للاعتراف والاتضاع ، وسلك طريق البرّ والخير والقيام بأعمال يتقرب بها إلى الله ، وتكون كتجسيد واقعي لمعنى المحبة الحقيقية، فيكفر بها عن خطاياه وينزع غطاء الشهوات من قلبه، ليقدم ذاته بمحبة كذبيحة لله، والمحبة تفترض حب الآخر لتجعل من العدو صديقا وبذلك تكتمل محبتنا لله.

– إن الحب عند أوغسطين هو المقياس الذي قيست به درجة الخطيئة عند آدم وحواء، لتلحقهم البشرية من بعدهم، فبعد أن كانا يعيشان في الجنة وقلبهما ممتلئ بحب الرّب نازعهما في ذلك حب آخر بفعل إرادتهما الحرة، فسقطا بهذا، وورثت ذريتهم الخطيئة من بعدهم، والتي لا نجاة منها إلا بالعودة إلى طريق المحبة، وذلك بإتباع تعاليم المسيح.

– إن للحب تجلياته في السياسة عند القديس أوغسطين، ويظهر لنا ذلك في تصنيفه للمدينتين " مدينة الله ومدينة الأرض "، إذ جعل من حب الله مؤسس للمدينة الأولى وحب الذات مؤسس للمدينة الثانية، وبهذا كان الحب هو الحد الفاصل بين المدينتين، حيث ميز المدينة السماوية حب الله، بينما طبع المدينة الأرضية حب الذات، من هنا انبثقت مجموعة قوانين تخص كل مدينة على حدى ، سميت في مدينة الله حسب أوغسطين القانون الأزلي، في حين لقبت بالقانون الزمني في المدينة الأرضية، كما يظهر لنا تجلي الحب في أفكار القديس أوغسطين السياسية عندما يتحدث عن المجتمع، ويجعل من الحب الرابط الاساسي بين الإنسان وبني جنسه، وكذلك في العدل، إذ يجعل من الحب شرطا أساسيا لتحقه، والحياة السياسية جلها حسب القديس أوغسطين إنما سببها نقص في المحبة، فنتيجة إحلال محبة الذات محل حب الله نزل الإنسان من السماء إلى الأرض ليعايش ويكابد الحياة السياسية.

– إذا كان الحب هو أصل التمييز بين سكان المدينتين، فـإن أخلاق المدينة السماوية يعيش أهلها في كنف حب الله بغية تحقيق السعادة الأبدية ، والتي نصل إليها عن طريق حب الآخر وحب العدل وكذلك حب السلام، على عكس أخلاق المدينة الأرضية التي يقع أهلها فريسة للتسلط وحب المال والمجد الشخصي، ويعيشـون بحسب أهواء ومطامع الجسد التـدي ورثتهـا الخطيئة في قلوب البشر، وهذا مـا سيقودهـم إلى الزوال، حيث لا أخلاق لهم إلا ما يرضـــي رغباتهم الحسية المعرضة للفناء.

– لقد كتب التاريخ بأعظم آية وهي المحبة، فكانت بدايته في الأبدية ، حيث لا صوت يعلو فوق حب الله، لكن بفعل الخطيئة انقسمت البشرية بين محب للرب ومتبع لهوى الذات، فكان مسار التاريخ بذلك ازدواجية ، بين أبناء مدينة الله وأبناء مدينة الأرض، ويبقى هذا الصراع يتخبط فيه التاريخ لينتهي وتعود الوحدة من جديد بالمحبة على يد المسيح يوم الدينونة الأخيرة، محققا بذلك السلام الأبدي لكل مسيحي محب للرب.

وختاما كإجابة عن الاشكالية نخلص إلى أن افكار أوغسطين في الحب جمعت بين الفلسفة والكتاب المقدس، فقد استمد من الكتاب المقدس مجموعة من التعاليم وأضفى عليها طابعا فلسفيا، محاولا التوفيق بينما جاء في الكتاب المقدس وبين ما يمليه العقل، وهذا ما نلتمسه أولا في تحليله للخطيئة في فكرتي الإرادة الحرة والشر، وأيضا نلتمس تفلسف القديس أوغسطين في اهتمامه بالآخر ، الذي اعتبره أساس اكتمال محبة الله، كذلك يظهر لنا تفلسف القديس أوغسطين في تجليات الحب في كل من الجانب السياسي والأخلاقي والتاريخي .

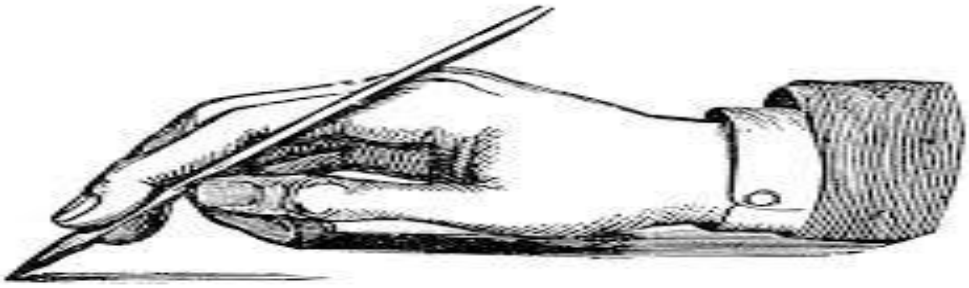

قائمة المصادر والمراجع

قائمــة المصــادر والمراجـــع

- التوراة.

- الإنجيل.

أولا: المصادر

1-أوغسطينوس: الاعترافات، تر: الخوري يوحنا الحلو، ط1، دار المشرق، بيروت، 1991.

2- ـــــــــــ: قيامة المسيح وقيامتنا، تر: الأمبا إيساك، د ط، دير السيدة العذراء، د م، 1998.

3- ـــــــــــ: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أوغسطينوس، تر: يوحنا الحلو، ط 7، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2004.

4- ـــــــــــ: محاورة الذات، تر: يوحنا الحلو، ط 1، دار الشروق، بيروت، 2005.

5- ـــــــــــ: مدينة الله، تر: يوحنا الحلو، ط2، دار المشرق، بيروت، 2006.

6- ـــــــــــ: تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي في الحياة السعيدة، في الكذب، ترجمة يوحنا الحلو، ط 1، دار المشرق، لبنان، 2007.

7- ـــــــــــ: عظات في المزامير، تر: سعد الله سميح جحا، ج 1، ط 1، دار الشرق، لبنان، 2013.

8- ـــــــــــ : المسيح مجد الشهداء، تر : ريمون يوسف رزق، د ط، المركز الثقافي القبطي الأرثذكسي، د م، 2016.

9- ـــــــــــ : الحياة المسيحية للقديس أوغسطين، تر: اشعياء ميخائيل، د ط، د س.

10- ـــــــــــ: في شرح الموعظة على الجبل، د ط، دون دار، د م، د س.

ثانيا: المراجع

11- أحمد شبلي: المسيحية، ط 1، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1988.

12- آدم كلاك: شرح سفر التكوين، تر: لورانس لمعي رزق الله، ط 1، د م، 2015.

13- اريك فروم: فن الحب بحث في طبيعة الحب وأشكاله، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، د ط، دار العودة، بيروت، 2000.

14- إيتن جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط 3، مكتبة مدبولي، الكويت، 1996.

15- باسيلوس: زمن المحبة، ط 1، جرافيك لينك، دس، د م، 2004.

16- بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، د ط، دون دار، د م، د س.

17- بيير بورني: فلسفة الحب، ترجمة علي وطفة، ط1، دار طلاس، دمشق، 1996.

18- جورج سباين: تطور الفكر السياسي، تر: حسن جلال العروسي، د ط، دون دار، د م، د س.

19- جورج منزريدي: الأخلاق المسيحية، تر: الأب ميشال نجم، د ط، دون دار، د م، د س.

20- خوسهاورتغا أي غاست : دراسات في الحب، تر: علي إبراهيم أشقر، د ط، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د س.

21- دون ناردو: الأساطير المصرية، تر: أحمد السرساوي، ط 1، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، 2011.

22- رأفت غنيمي الشيخ: فلسفة التاريخ، دط، دار الثقافة، القاهرة، 1988.

23- زينب محمود الخضري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، د ط، دار قباء، القاهرة، 1998.

24- شنودة الثالث: المحبة قمة الفضائل، د ط، دون دار، د م، د س.

25- عبد الرحمان بدوي: خريف الفكر اليوناني، ط 4، مدرسة الطبع والنشر، القاهرة، 1970.

26- علي زيغوز: أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، ط 1، دار إقرأ، لبنان، 1983.

27- عمر رضا كحالة: الحب، ط1، مؤسسة الرسالة، سورية، 1987.

28- فارس كمال نظمي: الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، ط 1، دار ئاراس، كورديستان، العراق، 2007.

29- فايز فارس: الأخلاق المسيحية، ج2، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1992.

30- فرليند فيربروج: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ط 1، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، 2007.

31- كاراس المحرقي: شوكة الخطيئة، ط5، دون دار، د م، د س.

32- ليو شتراوس: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديديدس إلى اسبينوزا، تر: محمود سيد أحمد، ج 1، د ط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.

33- محمد أحمد الخطيب: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، د ط، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، د س.

34- محمود سعيد عمران: النظم السياسية عبر العصور، ط 1، النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1999.

35- مسيرة طاهر: التربية بالحب، د ط، مكتبة الكاتب العربي، د م، د س.

36- هوميروس: الإلياذة، تر: دريني خشبة، ط1، دار التنوير، لبنان، 2014.

37- ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دط، دار الثقافة، القاهرة، 1984.

38- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، د ط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014.

39- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، دط، مؤسسة هنداوي، مصر، 2014.

ثالثا: المعاجم والقواميس

40- ابن منظور: لسان العرب، د ط، دار المعارف، القاهرة، د س.

41- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، د ط، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982.

42- مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج 1، ط 8، مؤسسة الرسالة، د س.

43- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، د ط، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.

رابعا: الموسوعات

44- أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية، تر: أحمد خليل أحمد، م 1، ط 2، منشورات عويدات، بيروت، د س.

45- سمير أديب: موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ط 1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

46- عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج 1، ط 1، المؤسسة العربية، بيروت، 1984.

47- شنودة الثالث: الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، ج 1، كنيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة، 2006.

خامسا: المذكرات والرسائل الجامعية

48- بن علي محمد: سؤال الإنسان في الفكر العربي الإسلامي والليبرالي الغربي دراسة فلسفية في المفهوم والحقوق، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الفلسفة، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة وهران-السنايا، 2012-2013.

49- رفعة دحيم ناصر الدوسري: صفة المحبة الالهية في النصرانية،مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الاسلام منها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1429-1430 هـ.

50- مزواد نسيبة: فلسفة الحضارة في فكر القديس أوغسطين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، 2011-2012.

51- موالك فاطمة الزهراء: رمزية الشر في الخطاب التأويلي الديني بون ريكور – نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2013-2014.

52- ياقوت قرعوني: نظرية المعرفة عند القديس أوغسطين، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، قسم الفلسفة، 2005-2006.

سادسا: المجلات

53- باتريك لود: المودة والرحمة والمحبة في الأديان، مجلة أديان، العدد 1، جامعة جورج تاون، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2011.

54- حفيظ اسليماني: خطيئة آدم وحواء بين التصّور المسيحي والتصّور الإسلامي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، د س.

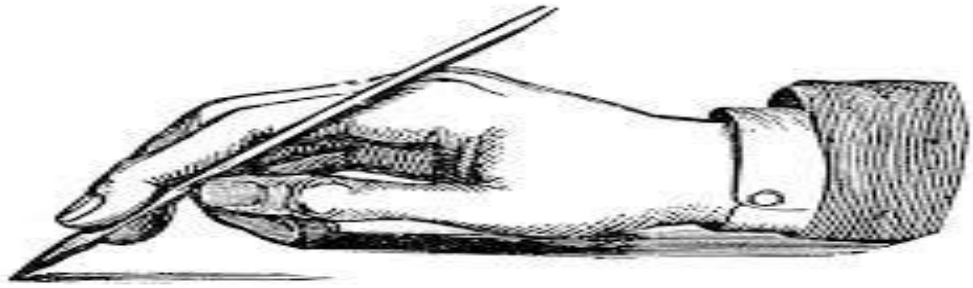

فهرس المحتويات

الموضــوع	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الاول: ماهية الحب ومنزلته في المعتقد المسيحي	
تمهيد.....	6
المبحث الأول: الحب وأنواعه	
تعريف الحب.....	7
أنواع الحب.....	13
المبحث الثاني: الحب في الحضارات القديمة	
الحب في الحضارة المصرية (أسطورة ايزيس وأوزوريس نمذجا).....	15
الحب في الحضارة البابلية (ملحمة جلجتمش نموذجا).....	19
الحب في الحضارة اليونانية (الإلياذة نموذجا).....	21
المبحث الثالث: المحبة في المعتقد المسيحي	
تعريف المحبة في المسيحية.....	24
أنواع المحبة في الدين المسيحي.....	27
تعاليم المسيح في المحبة.....	28
خلاصة.....	33
الفصل الثاني: من ظلمة الخطيئة إلى نور المحبة عند القديس أوغسطين	
تمهيد.....	35
المبحث الاول: المسيرة الفكرية للقديس أوغسطين	
أوغسطين والمانوية.....	37
أوغسطين ومذهب الشك.....	39
أوغسطين والأفلاطونية المحدثة.....	42
أوغسطين والمسحية.....	43

منهج أوغسطين.....	44
المبحث الثاني: الخطيئة عند القديس أوغسطين	
مفهوم الخطيئة في المسيحية	46
خطيئة آدم والذنب الموروث عند أوغسطين.....	47
مراحل الخطيئة عند أوغسطين.....	55
المبحث الثالث: المحبة عند القديس أوغسطين	
تعريف المحبة عند أوغسطين	57
أشكال المحبة عند أوغسطين.....	59
أهمية المحبة عند أوغسطين.....	65
خلاصة.....	67
الفصل الثالث: تجليات الحب عند القديس أوغسطين	
تمهيد.....	69
المبحث الاول: تجليات الحب في السياسة عند أوغسطين	
القانون عند القديس أوغسطين.....	70
مدينة الله ومدينة الأرض عند أوغسطين.....	76
المجتمع عند القديس أوغسطين.....	76
العدالة عند أوغسطين.....	78
الملكية عند أوغسطين.....	79
الرق عند أوغسطين.....	80
الحرب عند أوغسطين.....	81
المبحث الثاني: تجليات الحب في الأخلاق عند أوغسطين	
تجليات الحب في أخلاق المدينة السماوية.....	83
تجليات الحب في أخلاق المدينة الأرضية.....	89

المبحث الثالث: تجليات الحب في التاريخ عند القديس اوغسطين	
بداية التاريخ عند أوغسطين.....	93
مسار التاريخ عند أوغسطين.....	95
محرك التاريخ عند أوغسطين.....	101
نهاية التاريخ عند أوغسطين.....	104
خلاصة.....	106
خاتمة.....	107
قائمة المصادر والمراجع.....	110
فهرس المحتويات.....	116

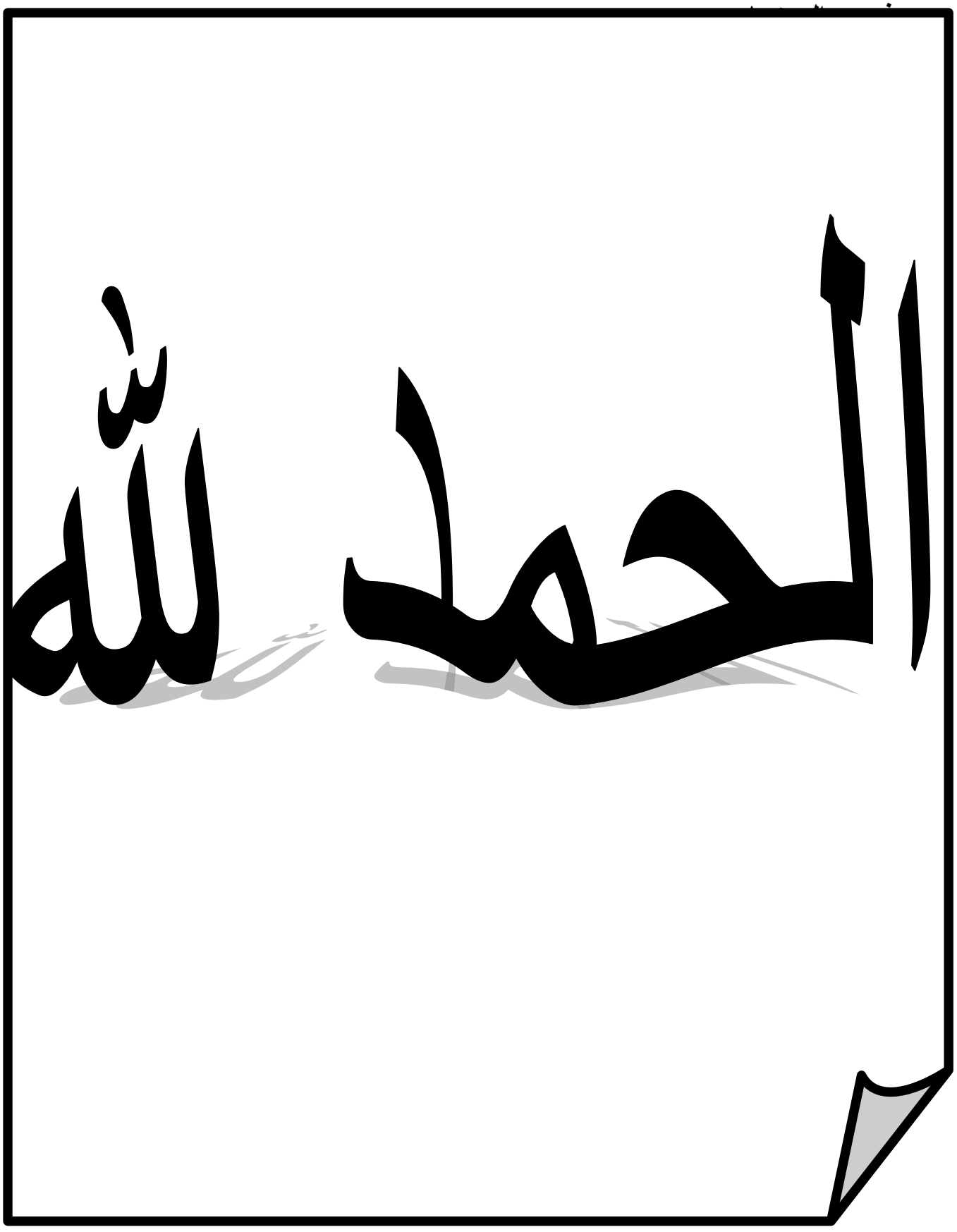
الحمد لله